تلاقي الكتابات الفرنكفونية والعربية في الأدب المغربي: الرواية أنموذجا

عبدالله أحمد الغامدي

جامعة الملك عبد العزيز

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

مستخلص. النص الروائي شكلا فنيا يحمينا من نسيان وجودنا، ويستوعب النص الروائي الأنواع السردية متمثلة في التراث الشعري، الحكائي، الوثائقي وأدب الرحلات بما فيها حضور متميز للشخصيات الإشكالية وما تحمله من عناصر، وهذا دال من أدلة الهوية الثقافية لدى المتلقي. والرواية جنس أدبي حديث في الإبداع العربي، إلا أنها حظيت بمكانة متميزة في الآداب العالمية والأدب العربي المعاصر عموما وفي إبداع المغرب العربي على وجه الخصوص. فبعد أن خرجت البلدان المغربية من ظروف استعمار الأجنبي الذي خلف وراءه فقرا وجهلا وأمية ثقافية مركبة ومعقدة وحصارا ثقافيا مهيمنا إلى حد ما، ازدهرت هذه البلاد في النصف الثاني من القرن العشرين، بإنجازات هائلة سيما ما بعد الثمانينات. ويمكن أن نذكر أن من بين أسباب مظاهر هذا الانفتاح: التغير الاجتماعي الذي طرأ على هذه البلاد بعد الاستقلال نتيجة "تعبير الرواية عن فئة اجتماعية جديدة من المثقفين: كتابا وقراء". وبهذا انتقلت الثقافة المغربية من ثقافة شفوية إلى أخرى مقروءة.

البلاد المغربية ذات موقع متميز جمع بين مختلف الحضارات. وقد منحها هذه المكانة أهمية قصوى وثرأ بناء لثقافتها إذ تغوص بجذورها في عديد من اللغات والثقافات والحضارات العربية الإسلامية والبربرية والإفريقية وكونها تعايشت مع الغرب الأوربي أثناء وبعد فترة الاستعمار. والبلدان المغربية مثقلة بإرث أصيل يضرب بجذوره في أعماق التاريخ. وعندما نشير إلى أدبه المكتوب على سبيل المثال لا الحصر، نجد أنه كتب بلغتين وكلاهما لم تتفصل عن أصولها العربية الإسلامية: لغة، دينا، حضارة وإرثا أصيلا.

إن صور الالتقاء في الروايات المغربية المكتوبة بلغتين تكمن في كونها تشترك في عناصر عدة منها: نقدها للواقع الاجتماعي المغربي وإبراز عنصر علاقتها مع المجتمع الغربي بمختلف أشكاله. وإن لم يعترف كثيرا من المفكرين الفرنسيين بأن الأدب الفرنكفوني إبداعا مغاربا يعبر عن ذاته وإن كتب بلغة المستعمر إلا أن البعض منهم يعتقد أن الأدب المغربي المكتوب بالفرنسية، قد أصطلح على تسميته بمصطلح بأنه أدب عربي كتب باللغة الفرنسية.

المقدمة

واطلقت على هذا الإبداع العربي المكتوب بالفرنسية
بـ "مدرسة شمال إفريقية" واعتبرته ممثلا لتيارات
الأدب الفرنسي، واحتج الكتاب المغاربة على هذه
التسمية و وافقهم على ذلك بعض النقاد الفرنسيين

تثار حول هوية الأدب المغربي المكتوب بالفرنسية
إشكاليات متعددة. وتعتقد بعض الأوساط الثقافية في
فرنسا بأن هذه الروايات جزء من الأدب الفرنسي،

واعتبروها ضمن الإبداعات العربية المغاربية، ومثال ذلك ما قالته الناقدة الفرنسية جاكلين ارنو (J. Arnaud) عندما قدمت لإحدى روايات الكاتب الجزائري كاتب ياسين: "علينا أن نعد هذا الكتاب رواية عربية مترجمة إلى اللغة الفرنسية، لا لأن أبطالها عرب، ولا لأن أحداثها تجري في أرض عربية، ولا لأن مدارها على الآلام التي يتحملها العرب في الجزائر، ولا على الآمال التي يشعروا بها، بل لأن العقل الذي أنجبها عقل عربي له أسلوبه الخاص في النظر إلى الأمور، في الإحساس بالمشكلات، في معاناة الحياة، وفي تصور الزمان والمكان"^(١).

تثير مسألة نسبة الأدب وانتمائه للآداب الأخرى دارسي الأدب المقارن وتحفزهم إلى البحث في هذا الموضوع؛ فبعضهم يعود للتراث العربي القديم الذي يضم نماذج من الكتاب مزدوجي اللغة كعبد الحميد الكاتب وعماد الدين الأصفهاني، وكذلك لدى الأمم الأخرى كـ (مير) شاعر الغزل في اللغة الأردنية، الذي كتب بالفارسية إلى جانب الأردية، كالشاعر الإسلامي محمد إقبال الذي كتب أيضا بالفارسية والأردية، وما كتبه الكاتب الروسي هنري ترويات (Henri Troyat) باللغة الفرنسية عن قضايا المجتمع الفرنسي ومشكلاته...

وبعضهم يعتقدون أن لغة النص هي هويته، ولهذا خصص مؤرخو الأدب الفرنسي وحدة للأدباء غير

الفرنسيين الذين يكتبون بالفرنسية، وفرقوا بين الأدب الفرنسي المكتوب من قبل الكتاب الفرنسيين، والأدب الفرنسي المكتوب من قبل الكتاب الأفارقة أو غيرهم من كتاب الدول الأخرى، وذكر بعضهم بأن هناك فرقاً شاسعاً بين شعر أراجون (Aragon) الفرنسي وشعر سنغور (Leopold Senghor) السنغالي، مع اشتراكهما في لغة الكتابة، كما أن ثمة اختلافاً بين ما كتبه صاحب الرواية المشهورة قوستاف فلوبير (Gustave Flaubert) بعنوان مدام بوفاري (Madame Bovary) وما كتبه الجزائري مولود فرعون في رواية: "الدروب الوعرة" (Les Chemins qui montent) والروائي مولود معمرى صاحب رواية: "الأفيون والعصا"^(٢) (L'Opium et le Baton). إن اعتبار اللغة وحدها فيصل في نسبة الأدب وهويته سيؤدي إلى إنكار آداب أمم استعارت لغة غيرها لظروف خاصة واتخذتها وسيلة للتعبير عن أفكارها ومشاعرها؛ إذ إن أفكار أمة ومشاعرها تختلف عن مشاعر أمة أخرى وأفكارها التي استعارت منها لغتها.^(٣)

هناك من يرفض أن تعد الأعمال الروائية المكتوبة بالفرنسية جزءاً من الأدب الفرنسي، كما أن هناك من يعتقد أن هذه الأعمال تمثل التاريخ المعاصر للغة الموطن الذي كتب فيها وطبع؛ أي تاريخ الفرنسية حقلاً ذهنياً ونفسياً ولسانياً، وأن للكتاب حق المواطنة الأدبية الفرنسية كالكتاب الفرنسيين

(١) راجع د. محمد غنيمي هلال، دار نهضة مصر، القاهرة (د.ت) من ص ٣-١٥.

(٢) راجع د. طه نداء، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠م ود. أحمد سيد محمد، الرواية الانسيابية، ص ٨٨، ص ٨٩.

Jacqueline Arnaud, *La littérature maghrébine de langue française*, Paris, 1er V., Ed. Publisud, 1986, p. 252. (١)

أنظر كذلك، كفاقي، محمد عبد السلام، في الأدب المقارن دراسات في نظرية الأدب والشعر القصصي، بيروت، دار النهضة العربية، ط ١، ١٩٨٢، ص ٢٥.

يطحن مفاهيم أوروبية على نحو بالغ العبث^٧، وهو ذاته صاحب العبارة الشهيرة "إن أرواحنا تنزف دماً في فرنسا"^٨. ويعتقد أن أبلغ تعبير إزاء الفرنسية جاء على لسان كاتب ياسين الذي قال: "إن معظم ذكرياتي وإحساساتي وأحلامي ومناجاتي الداخلية تتعلق ببلادي، فمن الطبيعي أن أشعر بها في صيغتها الأولى - أي لغتي الأم العربية، ولكنني لا أقدر على إنشائها والتعبير عنها إلا بالفرنسية"^٩.

كما أن هنالك من يدعم هذا القول؛ إذ عبرت بعض الكتابات الفرنسيات من أن كتاباً معروفين كتبوا بلغات ليست لغاتهم، كيونسكو (Eugene Ionesco)، كتب بالفرنسية، وجويس (James Joyce) وكافكا (Franz Kafka) كتبوا بالإنجليزية. ولكن ثمة من يرى بأن الفارق بين الفرنسية والعربية فارق جوهري بينما تشترك اللغات التي كتب بها هؤلاء المشاهير مع لغاتهم الأصلية. وشريحة من هؤلاء يقدمون

الجزائري المولد مثل البيرت كامو (Albert Camus) وجان سيناك (Jean Sénac) وغيرهم، والأعمال الروائية لا يمكن نسبتها إلى العربية بوصفها غنيمة حرب، كما يقول الكاتب الجزائري كاتب ياسين.^٤ أما اللغة فهي عالم في ذاتها تعطي للخطاب قواعده وأنظمتها، وتقدم للكتابة أرضية صلبة تبني عليها وتترعرع، وتفتح للرؤية أفق نبضها وتحركها، فاللغة ليست مجرد مرافق، بل هي خيط عميق الحبكة ونسيج الفكر، إنها للفرد كنز الذاكرة والوعي اليقظ.^٥

إن أوجه الإشكالات في الأدب المغربي متعددة وخاصة لدى الكتاب العرب الجزائريين الذين كتبوا بالفرنسية، إذ يعتقدون بأنهم منفيين عن لغتهم الأم، ويشعرون بأن اللغة الفرنسية التي يتقونها قد فرضها الاستعمار، بل يعتبرون المسألة "دراما لسانية"^٦ على حد تعبير ألبير ميمي (Albert Memi)، وحالة استلاب لغوي كما عبر عن ذلك أحمد الصفرى (Ahmed Sefrioui) وجان عمروش (Jean Amrouche) وكاتب ياسين (Kateb Yacine) وإدريس الشرايبي (Driss Chraïbi). يقول شرايبي: "منذ عشر سنوات ودماعي العربي المفكر بالعربية

^٧ يقول الكاتب الفرنسي "ألبير كامو" عن اللغة الفرنسية: "اللغة الفرنسية هي وطني"، وكتب الجزائري "مالك حداد" في كتابه (الأصفار تدور دائرياً)، في ستينيات القرن الماضي، "إنني في حالة منفي داخل اللغة الفرنسية"، بينما قال الطاهر بنجلون: "لا مشكلة هوية لدي، إن لغتي هي الأدب ولا أشك في عروبة ما أكتب، ومن البديهي أن يكون هذا الأدب الذي أكتبه عربياً في الجوهر والروح، وليس في الكتابة"، اللغة الفرنسية تمثل الوطن للكاتب الفرنسي، بينما تمثل منفي للكاتب الجزائري، وتعتبر لغة أدب عند الكاتب المغربي بنجلون. وهذا لا يمنع أن تقف اللغة حاجزاً أمام تصنيف الأدب العربي المكتوب بالفرنسية بصفة عامة، فالنقاد الفرنسيون لا يرفضون هذا الأدب، خاصة في الرواية، لأن فضاءات الكتابة وأحداثها وشخصياتها مستلهمة من واقع عربي، بينما كاتبها عربي، وله تصوره الخاص، ونظراته المختلفة في طرح المشاكل ومعالجتها التي تختلف فعلاً عن العقلية الغربية. يقول الجزائري كاتب ياسين: "إن معظم ذكرياتي وإحساساتي وأحلامي ومناجاتي الداخلية تتعلق ببلادي، فمن الطبيعي أن أشعر بها في صيغتها الأولى - أي لغتي الأم العربية، ولكنني لا أقدر على إنشائها والتعبير عنها إلا بالفرنسية". أنظر: بن سالم حميش، (في إشكالية الهوية المزدوجة: الأدب المغربي المكتوب بالفرنسية نموذجاً)، مجلة فصول، القاهرة، المجلد ١٦، من العدد الرابع، سنة ١٩٩٨م.

^٨ D. Chraïbi, *L'Âne*, Paris, éd. Denoël, 1959, pp. 13-14.

^٩ المرجع السابق ذاته، بن سالم حميش، منشور في مجلة فصول.

^٤ *Littérature francophone, Anthologie, écrite par un ensemble de professeurs francophones sous la direction de Jean-Louis Joubert, Paris, éd. Nathan et la participation de l'Agence de Coopération Culturelle et Technique, 1992, P. 316*

^٥ بن سالم حميش، في معرفة الآخر، دار الحوار للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٣م.

^٦ سعيد قطين، تحليل الخطاب الروائي: الزمن - السرد - التأثير، المركز الثقافي العربي، ١٩٨٩م.

المتوسطي".^{١١} بينما هناك ممارسة استعلائية تحت الكتاب العرب على ممارسة الثقافة الفرنسية وحمل لوائها، كما يقول عبدالكبير الخطيبي (Abdelkebir Khatibi) بأن هناك من الفرنسيين المسؤولين من يعتقد بضعف تأثير الفرنسية في المغرب العربي وقال على حد تعبيرهم بأنها: "قليلة الإخصاب"^{١٢}، بينما استطاعت الآداب اللاتينية وخصوصاً الأسبانية إخصاب قارة أمريكا الجنوبية بأكملها.

لقد تعرض الخطيبي ذاته إلى القمع من أوساط ثقافية فرنسية منعتة من إلقاء ورقته في مناظرة حول الأوضاع العامة للفرانكفونية لأنها لا تخدم الثقافة الفرنسية، وقال حينها: "إن كُتابنا لا يُطلب منهم أن يكتبوا بالفرنسية ويعملوا على إشعاعها فحسب، وإنما كذلك أن يكونوا خدام الأعتاب الفرانكفونية نظاماً وسياسة محددة الاختيارات والرؤى"^{١٣}.

ومهما يكن من أمر، فإنه لا يمكن شطب عملاً بحجم ثلاثية محمد ديب المكتوبة بالفرنسية التي تضم ثلاثة أعمال روائية هي "الدار الكبيرة" (La Grande Maison)، التي ظهرت عام ١٩٥٢م "والحريق" (L'Incendie) التي صدرت عام ١٩٥٤م، "والمنول" (Le Métier a tisser) التي نشرت عام ١٩٥٧م، فقد كانت أشبه بثلاثية نجيب محفوظ التي صور فيها جانباً من الحياة في مصر بين الحربين: العالمية الأولى والثانية، وقد صورت

أنفسهم ممثلين لحضارة عشوائية متجذرة في كل ما هو عجيب وغريب، استجابة لتصورات المتلقين على الجانب الآخر. كما يمارسون تصوير جانب من التراث الشعبي العربي، الذي يبدو لأصحاب اللغة المستعارة (الفرنسية) رمزاً للتخلف، لأنهم كما يضمنون، يستكشفون تراثاً شفهياً غير مكتوب يوازي ما لدى الأمم، بينما هم يمارسون - في حقيقة الأمر - ما يتماه الطرف الآخر.

أما الجيل الآخر من كتاب الفرنسية المغاربة فيعتقدون أن العربية لغة مقدسة، وهي لغة "الرقابة والرقابة الذاتية" التي تعيق نشاط الخيال والإبداع، بينما الفرنسية لغة إبداع تتيح لهم ممارسة التحليق والابتكار، ويخفوا من خلالها حقيقة مواقفهم الفكرية كما يفعل جمال الدين الشيخ ومحمد أركون وابن جلون وغيرهم. وهناك جيل ينادي بالتعددية ويمتدح الكتابة باللغتين العربية والفرنسية، ويجهل الكثير من أمور دينه وثقافته كما هي الحال بالنسبة للطاهر بن جلون الذي يقول عنه بن سالم حميش: كثيراً ما تطلبه وسائل الإعلام الأوروبية عن سذاجة أو رغبة في التسخير من أجل استجوابه في الإسلام والحركات الأصولية وفي الثقافة التي يفخر بها، "هذا في حين أنه في روايته المجازة (الليلة المقدسة) أو (ليلة القدر) يخلط بين الشهور القمرية الإسلامية ويصف صلاة الجنازة كما لو أنها مشابهة لإحدى الصلوات الخمس..."^{١٤}

يقول مالك حداد بأن الفرانكفونية قد خيبت الآمال فهي: "تفصلني عن وطني أكثر من البحر

^{١١} Malek Haddad, *Les Zéros tournent en rond* (essai), Maspero, 1961.

^{١٢} A. Khatibi, *Le roman maghrébin*, Maroc, éd. SMER, 1979, p. 14.

^{١٣} انظر: عبدالكبير الخطيبي، الرواية المغربية، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، ١٩٧١م، ص ٤٠.

^{١٤} المرجع السابق ذاته، بن سالم حميش، منشور في مجلة فصول.

هذه الثلاثية - بدورها- الحياة في الجزائر خلال ما يقرب من ثلاث سنوات من الحرب العالمية الثانية (من عام ١٩٣٩-١٩٤٢) وفي شكل سيناريوهات ومشاهد تكشف عن جوهر الحركة الاجتماعية في تلك الحقبة. لقد دارت أحداث رواية محمد ديب في مدينة تلمسان، في دار سبيطار على الحدود المغربية الجزائرية، التي وصفها الكاتب بأنها تشبه البلدة في اتساعها وعدد سكانها. وهذه الدار عبارة عن بيت عتيق موقوف على سكان همهم الاقتصاد في النفقة، ويعتمد إلى وصفها وصفاً دقيقاً على نحو ما يفعل الكاتب الواقعيون؛ والأسر التي تعيش في غرف مستقلة ويشتركون في منافعها كالبنر والمطبخ ودورة المياه، وهذه الدار تضم نماذج بشرية بائسة جائعة، ومشاهدها مأساوية تقابلها صورة للترف الذي يعيش فيه المستعمر الفرنسي. نشاهد في الرواية عينات من نمط الحياة التي يعيشها الفرنسيون دون أن يطيل الوقوف أمامها. بينما تتضح ألوان الطيف عندما تتسلط الشرطة بقرعها باب دار سبيطار باحثة عن الخارجين على سلطة المستعمر ممثلة في (حميد سراج) الذي يسكن مع أخته في غرفة من غرف هذه الدار.^{١٤}

تكونت إشكاليات الأدب المغاربي المكتوب باللغة الفرنسية، نتيجة لأسباب أدت إلى الازدواجية اللغوية في بلاد المغرب العربي، وتمثلت في عوامل منها التاريخية والثقافية والاجتماعية التي خلفتها بالدرجة الأولى المرحلة الاستعمارية التي حاولت طمس

^{١٥} بن نعمان، أحمد، التعريب بين المبدأ والتطبيق، الجزائر، ش. و. ن. ت، ط ١، ١٩٨١، ص ٩.

^{١٦} مرتاض، عبد الملك، نهضة الأدب العربي في الجزائر (١٩٢٥-١٩٥٤)، الجزائر، ش. و. ن. ت، ط ٢، ١٩٨٣، ص ٢٦.

^{١٧} BONN, Charles, La Situation Algérienne et conscience nationale. Après l'indépendance; Paris, No (85), Oct-Déc 1986.- p. 36.

^{١٨} *Présence francophone*, Revue internationale de langue et de littérature, no. 45, 1994.

^{١٤} Jeanne-Marie Clerc, Assia Djébar: *Ecrire, Transgresser, Résister*, éd. L'Harmattan, 1997, P. 74

قولدمان (Goldmann) بأن الرواية الحديثة: "بحث عن قيم أصيلة في عالم منحط".^{٢١} وهذا هو السر في القيمة الإبداعية التي تؤثر حسب إمكاناتها في الواقع الملموس للشعوب.

يستوعب النص الروائي المغربي جميع الأنواع السردية كالتراث الشعري والحكائي والوثائقي وأدب الرحلات، كما لشخصياتها حضور متميز بما تحمله من عناصر وإشكالات. يفتح نص الرواية على أشكال ثقافة شعبية متعددة كالمعتقدات والظواهر الاجتماعية والأهازيج والأمثال وغيرها... وجميعها دلائل من أدلة الهوية الثقافية لدى المتلقي. لذا تمتاز الرواية المغربية في نصيها العربي والفرنسي بتعدد الشخصيات ووفرة المحكيات والأحداث. الرواية المغربية المكتوبة بلغتين، جنس أدبي حديث الإبداع، إلا أنها حظيت بمكانة متميزة في الآداب العالمية والأدب العربي المعاصر عموماً وإبداع المغرب العربي على وجه الخصوص. فبعد أن خرجت البلدان المغربية من ظروف استعمار الأجنبي الذي خلف الفقر والجهل والامية الثقافية المركبة والمعقدة والحصار الثقافي المهيمن إلى حد ما، ازدهرت هذه البلاد في النصف الثاني من القرن العشرين، بإنجازات هائلة وخصوصاً ما بعد الثمانينات. ومن أسباب مظاهر هذا الانفتاح: التغير الاجتماعي الذي طرأ على هذه البلاد بعد الاستقلال نتيجة تعبير الرواية عن فئة اجتماعية جديدة من

وأصبح للتحديد معنى في حضور العنصر الأجنبي المتمثل في اللغة العربية وثقافتها.^{١٩} أما جان ديجو (Jean Dejeux) فيخالف الرأي السابق، في كون الأدب المغربي المكتوب بالفرنسية، لا يخرج عن دائرة الكتاب المغربية، مع تشبعه بالثقافة الغربية، ومما يزيد رأيه ثبوتاً تصريحه بقوله: "سيظل الكاتب المغربي باللغة الفرنسية يمثل مغرب اليوم في ثقافته وتحولاته، وتساؤلاته على الرغم من كونه يحمل البصمة الأجنبية في كتاباته".^{٢٠} وقد أدرج ديجو، الأدب الجزائري - مثالا - وفق الأدب المغربي معترفا بهويته المغربية، المعبرة عن مضامينه الحاملة للروح العربية المغربية التي تثبت هويته.

النصوص الروائية المغربية:

للنص الروائي المغربي اليوم شكل فني ووسيلة مهمة تعبر عن الأنثروبولوجيا الثقافية للشعوب المغربية وتميط اللثام عنها. وبها ومن خلالها يستعيد الإنسان المغربي ذاته ليغوص في داخله بعيداً عن كل العلوم الأخرى. كما تبقى الرواية - عموماً - حية طالما تكشف عن مجهول.. خاصة أنها نص سردي يتسم بالرحابة وبقدرتها على تحويل عناصر البنية الثقافية لأي مجتمع إلى عناصر سردية أوفنية. والأعمال الروائية المغربية لا تظهر للعيان إلا عندما تستاء من قيم مجتمعتها وتطمح لطرح قيم نوعية وجديدة بأن تحترم. لذا يقول

²¹ L. Goldmann, *Pour une sociologie du roman*, [compte-rendu]; Revue française de sociologie; Année 1965; 2-6 pp. 251-252.

¹⁹ Déjeux, J. Situation de la littératures Maghrébine de langue Française.- Alger, Ed. OPU, 1982. p. 184.

²⁰ Déjeux, J. *La littérature maghrébine d'expression française*, Paris, Puf. Que sais-je ? 1992, p. 3.

متأخرة وهذا ما يصوره لنا دريس شرايبي في روايته (Les Boucs).^{٢٣} ازدادت الكتابة المغربية حدة عندما قرر المستعمر فرض ثقافته في البلاد المستعمرة. إذ عبر عنه بعنف من خلال مقاومة الشخصيات البطولية وبروز ظاهرة الشرف الذي لا يقبل أن يندس. ولهذا كتب بعض المبدعين المغربية بلغتين ليثبتوا للمستعمر وجودهم ويطالبوا بحقوقهم في الاستقلال مع إثبات هويتهم العربية المغربية المسلمة وتأسيس حسهم الوطني والقومي في عديد من الروايات.

ولحداثة عهد التجربة الروائية المغربية مقارنة بنظيراتها في المشرق، يعلل بوشوشة إقبال كتاب المغرب العربي "على التجريب، وتشكلها على رمال متحركة، جعلت ارتحالاتها تتعدد من اتجاه لآخر، مما نوع تحولاتها البنيوية والدلالية، ومكّنها من أن تصوغ أسئلتها الخاصة التي تشكل العلامات الدالة على خصوصيتها، وتستمد منها ملامح حداثتها وسط تراكمات الجنس الروائي العربي".^{٢٤} ويضيف بأن تنوع الكتابة المغربية مرتبطة "بسيروية الرواية العربية في المشرق ومنجزات الرواية العالمية، وخصوصا الفرنسية منها بسبب تواصل تأثير عامل الثقافة في كتاب الرواية المغربية بصور مختلفة ونسب متفاوتة، مما جعل الروايات التي يبدعها هؤلاء تكوّن نتاج ذاكرة سردية عربية مشرقية وغربية

المثقفين: سواء الكتاب أو القراء،^{٢٥} والتي سعت لنقل الثقافة المغربية من ثقافة شفوية إلى أخرى مقروءة. والسؤال كيف يلتقي الأدب المغربي المكتوب بلغتين؟ وما هي عناصر الالتقاء؟ وهل يتنافران أو يتفقان ولماذا؟ وللإجابة على مثل هذه الأسئلة لا بد من الحديث عن المبدعين المغربية أنفسهم سواء من كتب بالفرنسية أو بالعربية.

ولكي نجيب على الأسئلة المطروحة علينا أن نوضح بأن البلاد المغربية ذات موقع متميز جمع بين مختلف الحضارات. وقد منحها هذه المكانة أهمية قصوى وثراء لثقافتها التي تمتد بجذورها في عديد من اللغات والثقافات والحضارات العربية الإسلامية والبربرية والإفريقية وكونها تعايشت مع الغرب الأوروبي أثناء فترة الاستعمار وبعده. فالبلدان المغربية ذات إرث أصيل يضرب بجذوره في أعماق التاريخ. وعند الحديث عن أدبه المكتوب على سبيل المثال لا الحصر، نجد أنه كتب بلغتين وكلاهما لم تنفصل عن أصولها العربية الإسلامية: لغة ودينا وحضارة وإرثا أصيلا. ومن هنا انقسم المبدعين المغربية بين ثقافتين وحضارتين تمثل كلا منهما قيمة أصيلة ومعاصرة اشتقت من الحضارة الغربية إلى جانب اللغة والثقافة التي أنشأت فكرا جديدا يمكن أن نسميه "بالمثاقفة".

أنتج الكتاب المغربية في العصر الاستعماري مؤلفات مناهضة لسياسة المستعمر فانحرم بعضهم من حرية الكتابة ولم يتمكن بعضهم إلا في سنوات

²³ Driss Chraïbi, *Les Boucs*, Gallimard, 1955.

²⁴ د. بوشوشة بن جمعة، التجريب وإرتحالات السرد الروائي المغربي، المغربية للنشر، ٢٠٠٣م. ص: ٩.

²⁵ د. بوشوشة بن جمعة، إتجاهات الرواية في المغرب العربي، المغربية للطباعة والنشر والاشهار، ١٩٩٩م. ص: ٥٤.

من مواضيع الأدب المغربي:

المثاقفة: تعتبر الرواية المغربية من أكثر الروايات التي تمارس ظاهرة المثاقفة من خلال ممارستها بالعربية وهي اللغة الأصل والفرنسية لغة المستعمر الدخيلة. لذا نجد أن النصوص الروائية المتعددة قد تطرقت لهذه المسائل من بعيد أو قريب. فالمثاقفة كما نراها، طفت على السطح عبر الأدب المغربي المكتوب بلغتين. يقول كاتب ياسين: "الفرنكفونية هي لغة المستعمر وهي لغة كسب حرب التحرير".^{٢٨} أما عبدالكبير الخطيبي فيقول: "يجب الاستفادة من لغة الآخر لقلبها عليه".^{٢٩} ويؤكد عبداللطيف اللعبي (Abdelatif Lâabi) بأن اللغة الفرنسية بالنسبة للمغاربة ليست الا "آلة" ثقافية أو آلة اتصال مؤقتة وبأن المغاربة "واعين دوما بالخطر الذي يحرق بهم".^{٣٠} فالكتابة بالفرنسية لم تقرض إلا لظروف استعمارية، فاستخدمت الفرنسية لخدمة الثقافة والإرث المغربي نفسه. ولهذا تؤكد جاكليين أرنو (J.Arnaud) بأن الكتاب المغاربة لا زالوا يواصلون "نشر مؤلفاتهم في باريس وباللغة الفرنسية".^{٣١}

بلدان المغرب العربي بلاد ديناميكية؛ فهي تحافظ على هويتها وعلى شخصانياتها باحتضانها لثقافتها وحضارتها وتتقبل الانفتاح على الآخر وتتقاطع مع متطلبات واقعها المعاصر وتتداخل. كتب جان ديجو بأن البحث عن الهوية في المغرب العربي

أوروبية، كان لها دورها الفاعل في بلورة معالمها وتحقيق تحولاتها البنيوية والدلالية في آن.^{٢٥} صور الالتقاء في الروايات المغربية المكتوبة بلغتين تكمن في كونها تشترك في عناصر عدة منها: نقدنا للواقع الاجتماعي المغربي وإبراز عنصر علاقتها مع المجتمع الغربي بمختلف أشكاله: الثقافية والتعليمية والسلوكية والفكرية والأخلاقية والإيديولوجية والطبقية وغيرها.. وتتأصل نصوص الإبداع المغربي في عمق ثقافتها، والمناهضة والكفاح والانتفاضة، انطلاقا بوعي الكتاب بذواتهم ودفاعهم بحسهم الوطني والقومي وذواتهم العربية الإسلامية ضد كل ما هو غريب. ومع أن بعض المفكرين الفرنسيين لا يعد الأدب الفرنكفوني إبداعا مغربيا إلا أن بعضهم يعتقد بأنه أدب مغربي مكتوب بالفرنسية بمصطلح: (Francographe).^{٢٦} كما اعترفوا بأن الكتابة بالفرنسية لا تعني الاستلاب والانبهار، فأى قارئ لا يستطيع أن ينكر فكرة هذا الأدب المغربي المكتوب بالفرنسية. فهو واضح من خلال أدبه وفكره وطرحه وعناصره وموضوعاته المتجذرة في ثقافته الشعبية الحية كإشارة أندريه ميكل (André Miquel) عندما يتحدث عن روايات طاهر بن جلون ويقول: "أعتقد أنه أدب عربي كتب باللغة الفرنسية".^{٢٧}

²⁸ Kateb Yacine, *La langue de Malek*, (in) Nouvel Observateur, n° 1157, 1987, p. 87.

²⁹ A. Khatibi, (in) *Le Monde*, 17 Décembre 1971.

³⁰ Abdelatif, Lâabi, *Souffles*, n° 18, 1970, p. 36.

³¹ J. Arnaud, *Op.cit*, p. 252.

^{٢٥} المرجع السابق نفسه، ص: ٩.

²⁶ J. Arnaud, *La littérature maghrébine de langue française*, Paris, 1er V., Ed. Publisud, 1986, p. 116.

²⁷ André Miquel, *La Littérature arabe*, Paris, PUF, «Que sais-je?», 1981.

لشعب غير شعبك والأكثر غرابة أن تكتب لمن هزم شعبك بالأمس.^{٣٩} ولكن استخدام الفرنسية ضروري لأنها لغة علمية متواكبة مع متطورات العصر.

لقد واصل الكتاب المغاربة إثراء إبداعهم ونشره باللغتين العربية والفرنسية، إذ من المستحيل لمجتمع خارج بعد عقود من الاستعمار، مواصلة السير على القدمين دون سابق تجربة في مختلف الميادين، من أجل هذا كان على الكتاب الممارسين للغتين تطبيع اللغة الفرنسية مع الموروث الحضاري واستخدام لغة الآخر وسيلة اتصال في مجتمع حديث ومعاصر في سبيل إثبات الهوية والتعبير عنها باللغة الأم التي أستهيدت في مختلف المؤسسات بعد خروج المستعمر والتي تؤكد . بطبيعة الحال . هويتها المغربية. لقد تحول البعض من أعلام الرواية المغربية المكتوبة بالفرنسية إلى الكتابة باللغة العربية ومنهم الأديب الجزائري رشيد بوجدر الذي نشر خمس روايات بالعربية: التفكك (Le démantèlement) في (١٩٨٢)، (Lamacération) عام (١٩٨٤) ويوميات امرأة جزائرية (يوميات امرأة آرق) (Les journaux d'une femme algérienne) عام (١٩٨٥)، ومعركة الزقاق (Le Combat de Zougag) عام (١٩٨٦) وفوضى الأشياء (Le Désordre des choses) عام (١٩٩٠).

الكتابة والرواية: لا شك أن الشكل يتداخل في كثير من الأحيان في المشاهد الروائية، ولا يمكن للرواية

شاغل رئيسي وبأن الكتاب لا يبدعون إلا "كجزائريين ومغربيين وتونسيين".^{٣٢} ويؤكد من يكتب بالفرنسية بأن الفرانكفونية ليست بالضرورة التعلق بها.^{٣٣} فاللغة العربية لغة ثقافة ورمز هوية وطنية بينما الفرنسية في الإبداع لا تمثل الا شاهد عيان على الأصالة المعاصرة والحديث للدفاع عن ثقافتهم وتاريخهم وحضارتهم.

يعتقد بعض النقاد بأن الإبداع المغربي عبارة عن وثائق^{٣٤} (Documents) أكثر من كونه مؤلفات كما تقول جاكولين أرنو إلا أنها تؤكد: بعدم إلغاء عروبية هذا الأدب. وتعتقد بأن ازدواجية اللغة عند الكتاب المغاربة^{٣٥} ليست عيبا بل إثراء وانفتاحا على الآخر ليسهل فهمه والحوار معه.. والفرنسية في حد ذاتها أيضا لغة مواجهة وعامل مساعد للحديث عن المحرمات.^{٣٦} يقول محمد ديب بأننا: "بحاجة لاستخدام لغة الآخر لنكتشف أنفسنا".^{٣٧} واستخدام اللغة الفرنسية يساهم في الهروب من الرقابة والسلطة أيا كانت، ولكنها أيضا لغة احتجاج على ممارسة المستعمر ومنافسته وإجباره على سماع أصوات كتابها. والفرنسيون كما يقول أحمد صفراوي: "يدفعون جيذا لمن يعرف لغتهم"^{٣٨}، أو كما كتب ألبرت ميمي: "من العجيب أن تكتب

³² J. Déjeux, *La littérature maghrébine d'expression française*, Paris, Puf. Que sais-je ? 1992, p. 3.

³³ J. Déjeux, op. cit., p. 102.

³⁴ J. Arnaud, op. cit., p. 11.

³⁵ J. Arnaud, op. cit., p. 11. "Il ne fallait pas escamoter l'arabité de cette littérature."

³⁶ J. Arnaud, op. cit., p. 11. "Le français rend possible la transgression de tous les tabous."

³⁷ Entretien avec Mohamed Dib, cité par Jean Pélagri le 11 Février 1983, (in) «Revue CELFA».

³⁸ Ahmed Sefrioui, *La Boite à Merveilles*, Paris, Le Seuil, 1954.

³⁹ Albert Memmi, *Portrait du colonisé*, Paris 1957, pp. 142-146, trouvé (in) «Document» à la fin de l'oeuvre de Khatibi, *Le roman maghrébin*, op. cit. p. 127.

استلاب الإرادة العربية واستعباد الإنسان بعد استلاب الثروة والأرض.^{٤١}

من أجل هذا نؤكد بأن الوعي بالذات لا يمكن أن يتحقق إلا من خلال الوعي بالآخر. فالدفاع هنا شكلا من أشكال الوعي بالذات وتأكيد الهوية وفهم الآخر من خلال ما يطرحه المفكرين والكتاب من فكر وأدب. فلجوء الكتاب إلى إبراز هوياتهم يوضح أن: "الإسلام والعروبة يرمزان إلى جوهر هوية الذات المغربية، في وعي مثقفي المغرب العربي، وذلك بسبب ما اتسمت به السياسة الاستعمارية الفرنسية في كل من تونس والجزائر والمغرب الأقصى وموريتانيا، والإيطالية في ليبيا، من روح تعصب مسيحي ضد العقيدة الإسلامية للشعوب المغربية."^{٤٢}

والتححرر من الغرب معناه التعامل معه نقديا. أي الدخول مع ثقافته التي تزداد عالمية، في حوار نقدي، كقراءتها من خلال تاريخها وفهم مقولاتها ومفاهيمها في نسبيتها وأيضا "التعرف على أسس تقدمها، والعمل على استنباطها في تربيتنا الثقافية. وهي بصفة خاصة العقلانية والروح النقدية."^{٤٣}

لقد طرحت مسألة الهوية وتناولتها الروايات بطرق مختلفة تعكس من خلالها علاقة الذات بالآخر وتبرز إشكاليات متعددة. فإثارة الغرب أو المستعمر بشكل مستمر في الروايات المغربية لا يعني

تجاوز هذين العنصرين. وما يمكن أن نميزه في الرواية المغربية وبشكل متكرر عند معظم الكتاب ينقسم إلى:

هوية الأنا والآخر: ضياع أو فقدان الهوية:

نجد دائما ما يسمى بالحس المتجذر في الرواية المغربية منذ تواجد المستعمر.. وترتبط الهوية أيضا بالآخر فلا نستطيع أن نتجاهل الغرب سيما في المراحل العصبية التي مرت بها البلدان المغربية أثناء الاستعمار القديم أو ما نراه اليوم، من الهيمنة الجديدة. والغرب في التعبير عن الذات أو الهوية، ينقسم إلى غرب إيجابي وهو الحضاري والآخر سلبي وهو المستعمر. وهناك صدام مع هذا الآخر خاصة مع السيطرة الجديدة التي تنتزعها الولايات المتحدة الأمريكية منذ الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م، وهو ما يتضح جليا في الروايات المعاصرة.

أما إشكالية الهوية في الإبداع المغربي المكتوب بلغتين متباينتين فقد انطلقت منذ عهد الاستعمار واستلاب الحقوق بسبب "غياب التكافؤ في العلاقة القائمة بينهما وهذا التكافؤ لا يمكن أن يتحقق قبل أن تتحرر الشخصية العربية من التشويهات التي ألحقها بها الإرث الاستعماري."^{٤٤} وتمثل الهوية القومية والوطنية في الأدب المغربي: "سلاحا أيديولوجيا عظيم الفعالية في مواجهة محاولات الاختراق الثقافي وتذويب الكيان الحضاري العربي ضمن أنساق فكرية معينة وأنماط تغريبية تسعى إلى

^{٤١} المرجع السابق ذاته، ص: ٥
^{٤٢} لمحمداني حميد: في التنظير والممارسة، منشورات عيون، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٨٦، ص: ١٢٦
^{٤٣} د. محمد عابد الجابري: إشكالية الأصالة والمعاصرة في الفكر العربي الحديث، بحث منشور ضمن كتاب التراث وتحديات العصر، مركز دراسات الوحدة العربية، ص: ٥٥.

^{٤٤} كلمة هيئة التحرير، "ملتقى الإبداع... والهوية القومية، مجلة "الوحدة"، السنة الخامسة، العدد ٥٩/٥٨، جويلية/أوت، ١٩٨٩م، عدد خاص عن "الإبداع والهوية القومية" ص: ٥.

الوجهين الاستعماري والحضاري الديمقراطي التعددي للغرب، يمثلان وجهين لعملية واحدة. ويتضح أن هذه الحضارة قد انكشفت للعيان في صورتها غير الإنسانية والعدوانية كونها تمثل خطرا للحضارة العربية الإسلامية. فلإبداع المغاربي: "موقف إدانة عنيف وحاد للغرب يمثل رد فعل على عنف الغرب الحضاري وحدة تعامله مع مغرب الاستقلال".^{٤٧}

يحاول الكتاب المغاربة من خلال نصوصهم استعادة هوياتهم من خلال أبطالهم التي تصور الشرقي أو العربي المسلم في مرآة غربية أو كما يريد أن يراها الغربي في مرآته، جغرافيا وحضاريا وسياسيا عبر خرق القوانين والعبور إلى المناطق المحرمة في الذات العربية الإسلامية. البحث عن الهوية المغاربية العربية الإسلامية يحول الإبداع الروائي من التجريد إلى حقيقة معاشة أكسبت كلا الأدبيين أصالة ومكانة تتجذران في البحث عن الصور الواقعية والمتخيلة. فنقد الأدب المغاربي المكتوب بلغتين أدب خلاق ومبدع لثقافة مزدوجة (Culture mixte) لا تلغي جذورها وإنما تسعى إلى تحديثها.

صورة المرأة: الأم، الزوجة، البنت، الأخت، العشيقة والمومس:

تحظى المرأة بحضور فاعل في الرواية المغاربية مما يدل على أهميتها ضمن شواغل الكتاب. وقد بدت المرأة في عدة نماذج من حيث الانتماء والدور

بالضرورة الخنوع فالقضية قائمة في صلب الواقع الاجتماعي الوطني طالما كانت هناك علاقات تاريخية وكيان ذاتي. وطرح فكرة الغرب ليست إلا مسألة تعتمد على نوعية التعامل معه، لهذا يوضح عبدالله العروي بأن ظاهرة الضعف والتواكل في التفكير الأيديولوجي العربي ترتبط بإخفاء أنماط تفكيرنا الغربي.^{٤٨} بينما تواجد الغرب لا يعني الاستلاب للشخصية طالما أن العلاقة معه مستمرة وتحقق مصالح مشتركة.

تعدد الرواة والروايات جعلنا نذهب إلى دراسة الهوية ممثلة في النموذجين الفرنكفوني والعربي: فوعي عبدالله العروي بهويته العربية يطغى على فكرة الأيديولوجيا أو الإبداعي فهو يتحدث بضمير المتكلم (أنا) ويقصد نحن العرب وفي روايته (الغربة)^{٤٩} ما يكشف أماننا تأصيل ذلك الحس بهويته عبر بطله الدائم إدريس... ووعيه هنا انتقادي لواقع المغرب العربي المتخلف في فترة ما قبل الاستقلال ولهذا ظهر الوعي بالآخر أيضا نقداً لحضارة الغرب وعامل إرباك لصورته المشوهة. وكذا عند الطاهر وطار في روايته المسماة باسم بطلها (اللاز)^{٥٠} فهي ترتبط بقضية التحرير الوطني من المستعمر الفرنسي...

يرسم الكتاب صورا بشعة لهذا الغرب ويكشفون تهافت حضارتهم وقيمهم المغلوطة سواء في الإبداع ما قبل الاستقلال أو ما بعده، ويعتقد الكتاب أن

^{٤٨} عبدالله العروي، الإيديولوجيا العربية المعاصرة، ترجمة: محمد عيتاني، دار الحقيقة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٠م، ص: ٧٣، ٧٤

^{٤٩} عبدالله العروي، الغربة، المركز الثقافي العربي، ١٩٨٦م

^{٥٠} الطاهر وطار، اللاز، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ١٩٧٢م

^{٤٧} د. بوشوشة بن جمعة، تجليات أسئلة الهوية في السرد الروائي المغاربي، بحث مطبوع،

القضايا الاجتماعية: كإدانة وضعها التقليدي وتسلب الفكر الخرافي في كثير من شئون حياتها، فبرز في الساحة المغربية بشقيها العربي والفرنكفوني مبدعات أسهمن في الثورة الإبداعية الجمالية في بلدانهن كما في المهجر كآسيا جبار أو أحلام مستغانمي.

تستطيع المرأة من خلال ممارسة فعل الكتابة الروائية كما يقول بوشوشة: "تكريس مقومات هويتها أنثى بتبني قضايا المرأة وتقديم البدائل الممكنة لها قصد تحسين وضع المرأة المغربية." ^{٥٠} وللمرأة العربية المثقفة عامة وفي المغرب العربي خاصة دور فاعل في الوعي الاجتماعي الذي نعيشه اليوم، فالجميع بحاجة في العالم المعاصر، لتجاوز معاناته المحلية وفتح ثغور تتواكب مع ما يحيط بمجتمعاتنا. يؤكد رشيد بوجدره بأنه: "واع أن الطاقات الموجودة لدى المرأة العربية سوف تنفجر يوما وإذا ما انفجرت فسوف يربح المجتمع العربي نصفه المفقود، إلى يومنا هذا وسوف تكون الصورة النسائية التي سينتفع بها الرجل قبل غيره." ^{٥١}

والمرأة المثقفة والكتابة بوجه خاص ذات حضور فاعل في الرواية المغربية، وكمجتمع أقلية، عاشت زمنا متقلبا وما زالت تعيش ظروفًا تنعكس في رؤيتها للأشياء وتصورها لها وللمجتمع المحيط وللعالم على سیر كتاباتها. من أجل هذا يمكن اختصار الإبداع النسائي المغربي كـ "تصوص

الاجتماعي التقليدي الخرافي البسيط أو الفاعل المعاصر: كالمعلمة والمثقفة والسياسية... لقد قسم بوشوشة بن جمعة نماذج المرأة في المجتمع المغربي إلى: المرأة النموذج التقليدي والمرأة المناضلة والمرأة الطالق والمرأة المثقفة ثم المرأة السياسية. ^{٤٨} وللمرأة أدوار متنوعة كما أشرنا كربة البيت والزوجة المطيعة والمطلقة والأرمل والعزباء ولكل واحدة منهن دورها ومعاناتها.

أما المرأة المثقفة أو الكاتبة فتتحدى منحى آخر إذ تتصارع مع مجتمع ذكوري يسعى دوماً إلى إقصائها أو الحد من فاعلية أدوارها إلى حد فقدان هويتها (Identité confisquée) ^{٤٩}. لقد ساهم واقع التعليم في المغرب العربي أثناء مرحلة الاستعمار في أن تحتل المرأة منزلة مهمة وتشغل حيزاً كبيراً في المجال الروائي المغربي. فعندما نعبر عن الكتاب في المغرب العربي فإننا نشير إلى المبدعين والمبدعات معاً. أفرز الوضع الثقافي في المجتمع المغربي، جيلاً من الكاتبات ذات التعبير العربي والفرنسي وأثر في ممارستهن الإبداعية التي مكنتهن من التعليم والعمل والسفر والترحال والخوض في معترك الحياة. لقد أسهم الإبداع النسائي بخروجه من الهيمنة والاستلاب وتجاوز العوائق والقيود وتأكيد هوية المرأة المغربية ودواعي وجودها. لقد خضعت المرأة المغربية بدورها، للتصورات العامة وللمواقف والرؤى التي خصصها المبدعين لمختلف

^{٤٨} د. بوشوشة بن جمعة، الرواية النسائية المغربية، المغربية للنشر، ٢٠٠٣م،

^{٤٩} Arlette Chemain, *Emancipation féminine et roman africain*, Les nouvelles éditions africaines, Dakar, Abidjan, Lomé, 1980.P.55

^{٥٠} د. بوشوشة بن جمعة، الرواية النسائية المغربية، نفس المرجع السابق، ص: ٥٤.

^{٥١} ضياء خضير، حوار مع الروائي الجزائري رشيد بوجدره، مجلة "الأقلام"، السنة ١٦، العدد ١، تشرين الثاني، ١٩٨٠، ص: ١٠٠.

لا يحملن.^{٥٥} وكتب كذلك عن نفاق الرجال الذين يمارسون مع التلاميذ ونساء يبعن أنفسهن في الطرقات^{٥٦} وكتب عن مشكلة الزنا بالمحارم كزوجة الأب التي وصف فيها بوجدة حالة البطل وهو يصف جمال زوجة والده بعد أن يستمتع أبيه بها ويأتيها في الوقت المناسب^{٥٧} لكي تستعرض أمامه ولكي يعاشرها ويستمتع بها في زينتها وهي تأتي إليه في الوقت المناسب معطرة.^{٥٨} ثم يفرق بين زبيدة كامرأة أخرى غير أمه الصامته، فزبيدة متحررة ومن جيل مختلف ولم تعد فقط للجنس كما كانت أمه.

تشكل الخطاب الروائي:

يتشكل الخطاب بتشكل الرواية داخل المتن كما يتشكل حول إسهام الرواية وتشكيل بنيتها وبنية أشخاصها، ويوظف الخطاب الروائي العديد من الصفات التي تتميز بها سيما الكتابة التاريخية. وينقسم هذا الإبداع بين خطاب غائب وآخر حاضر. ويتطرق الخطاب الروائي المغربي، في مجمله، إلى ثلاثة عناصر رئيسة هي:

١- **الديني: الإسلام والمسيحية واليهودية:** تعد الخطابات الدينية من أهم الخطابات التي حظيت بأهمية قصوى في كثير من الروايات التي كتبت في الأدب المغربي وصنعت دلالاته من حيث البنية والوظيفة. تتناول الروايات غالباً، باحترام وتمجيد. يحرك هذا الخطاب وجدان الشخصية وتواصلها مع محيطها، كما يتجلى داخل السرد أو الحوار وتتنوع

مشحونة بالاحتجاج والرفض لوضع المرأة العربية المختلف في مجتمعات تكرر سلطة الرجل وتستلب وجود المرأة وكيانها.^{٥٩} وبهذا تثبت المرأة المبدعة وجودها وتعزز استقلالها وتبرهن على ما تملكه من قدرات من خلال بث همومها ورفض السلطة أياً كانت والبحث عن إبراز تجربتها وممارسة حريتها وإقامة علاقة جمالية مع الواقع ومحاولة معالجة قضاياها الذاتية وقضايا مجتمعتها المعاصر.

أما القضايا النسائية المثارة في الروايات المغربية فقد جعلت النساء مرآة عاكسة لما تعانيه المرأة المغربية، فهي حارسة المنزل وهي المحافظة على التراث وهي الصمت المطبق وهي السجن وهي القلق وهي الرغبة الجنسية وهي الشهوة وهي الحرث... وقد حلل الكاتب بوجدره وأحلام مستغانمي تلك المرأة في رواياتهم ووصفوا معاناة المرأة وما تعانيه من شعور بالعار وما ينطبق عليها من العيوب الاجتماعية كما تقول أرلت شمان (Arlette Chemain). كما حصرها الكاتبان على سبيل المثال في مواضيع جنسية أخرى كالمومس... وتحدث بوجدره عن نفس المشكلة وأوضح بأن الرجال يسموا زوجاتهم بأسماء مومسات^{٦٠} وحالة ما (Ma) الأم وهي تمارس (La masturbation) بنفسها أو بمساعدة (Nana)^{٦١} وتحدث عن نساء أرامل يفضلن ممارسة ذلك مع الأولاد الصغار لكي

^{٥٩} د. بوشوشة بن جمعة، الرواية النسائية المغربية، سبق ذكره، ص: ١٥.

^{٥٥} Rashid Boudjedra, *La Répudiation*, Gallimard Folio, 1981, P.39

^{٥٦} Rashid Boudjedra, Op/cit, P.93

^{٥٥} Rashid Boudjedra, Op/cit, P.66

^{٥٦} Rashid Boudjedra, Op/cit, P.95

^{٥٧} Rashid Boudjedra, Op/cit, P.67

^{٥٨} Rashid Boudjedra, Op/cit, P.116

النصوص.. عنف متخيل سياسي يجد تعليله في ممارسات سلطة الاستقلال التي يكاد يجمع كتاب هذه الرواية من جيل السبعينات والثمانينات على أنها تشكل نوعا من الامتداد لسلطة الاستعمار. يتم حضور هذا الخطاب من خلال الشخصيات وإبراز خصوصياتها النفسية والفكرية: "أفعالها وردود أفعالها" ورصد وتسلسل الأحداث التي شكلت السياسة.^{٦٠}

٣- التاريخي: هذا الخطاب ينقلنا إلى الأحداث من خلال إشارات ووقائع في فترة زمنية ما يمكن أن نحدد بعدها مكاننا وزماننا ويرتبط هذا الخطاب بالخطابين السابقين.. يتم التعامل مع كتابه المغاربة على نوعين من التاريخ يتداخلان في نصوصهما، فأولهما: التاريخ العربي الاسلامي قديما، وثانيهما: التاريخ الحديث والعرب والمسلمين عامة والبلدان المغربية خاصة.

٤- الجنس: يندرج الجنس في روايات وعالم المغرب العربي، ضمن المحظورات الدينية والمجتمعية والضوابط الأخلاقية والمسائل المحرمة شرعا وعرفا. وعالم الشهوات في المتخيل العربي، ممارسة غير شريفة وهي عبارة عن مكابدة للهموم الذاتية وتجربة رحلة ضياع في عالم متسكع. ما هي هذه الظواهر، وكيف يتعامل الكاتب المغربي مع هذه الظاهرة؟! لا شك أن هذه الظواهر تتعدد في الروايات المغربية وتتحدث عنها وتتمثل غالبا في المصطلحات الفرنسية التالية: (La sexualité bafouée: la)

أشكال الخطابات بين الشخصيات؛ إذ نجدها بين محافظ يرى في الدين كتابا ومنهاجا يجب الاحتذاء به فهو صالح لكل زمان ومكان، وبين آخر ينفر من الدين ويعتقد أنه قد فقد مصداقيته وتأثيره على النفوس، فهو جيل يبحث عن الحرية. مثال ذلك بطلة رواية رشيد أبو جدرة في (يوميات امرأة أرق)، عندما تتضجر منزعة من الأذان عند كل صلاة فجر.

٢. السياسي: يتصدر إشكاليات الرواية في المغرب العربي باعتبار أن السياسة تمثل الشاغل الأساس للكاتب المغربي بسبب انعكاساتها على واقعه الذاتي والمجتمعي وهي انعكاسات سلبية في الأغلب، يقول الطاهر وطار: "السياسة.. هي الصدى الوحيد لهمومنا الباطنية والعنيفة.. هي هم كبير.. مثل الحب، الموت، الخبز.. العلاج".^{٥٩} يختفي الخطاب السياسي غالبا، خلف الخطاب الديني ليحقق مبتغاه من خلال استغلال إمكانياته: أما الشخصيات فيه فتتنقسم إلى قسمين: شخصيات القسم الأول لا تترك ما تقول ولا تفهم إلا القشور وشخصيات القسم الآخر واعية وعلى قدر من الذكاء والدهاء.

تطرح الروايات المغربية قضايا سياسية يختلف عمقها وإدراكها للواقع من كاتب لآخر إلا أن طرحها ينقسم بين المباشر والضمني. وتتميز بجرأتها في ملامسة القضايا والتعبير عن الموقف منها وهذه الجرأة إلى حد السب والشتم واللعن في كثير من

^{٦٠} علامات في النقد، المجلد الرابع عشر الجزء ٥٣، النادي الأدبي الثقافي بجدة، ٢٠٠٤م.

^{٥٩} الحبيب السائح، زمن النمرود، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨١م ص: ٢٧.

بفنون من التلميح وأمسكن عن تسمية الأشياء بمسمياتها...^{٦٢} والمرأة الكاتبة لا تتجرأ على "ذكر أسماء معينة في الجسم أو ذكر أسماء وظائف طبيعية لهذا الجسم، بنفس الطريقة المباشرة الجريئة التي يستعملها الرجال... لذلك تعتمد النساء لإيجاد كلمات أو عبارات مهذبة وملطفة قد تصبح مع كثرة الاستعمال كالكلمات الأصلية الصريحة..."^{٦٣} فالصمت والإحجام بسبب الضوابط والمحظورات أرغمتهن عن الكلام المباح كما فعلت شهرزاد في ألف ليلة وليلة.

والمرأة فوق كونها موضوع لإرضاء رغبات الجنس إلا أنها وسيلة من وسائل العيش في أوروبا. وفي رواية (المرأة والوردة) يقول البطل محمد: "ولكنني متأكد أنني لا أملك شيئا سوى عضو متدل أنهكته حرب الاستنزاف من أجل لقمة العيش وبلا حب مثل عاهرة سأمشي وسأوزع البسمات، أقول للعالم اضحك فأنت سعيد. أنا سعيد... والناس سعداء... وحتى إذا لم أكن سعيدا فسأتخيل ذلك أو أفتعله."^{٦٤} وهذا المثل يجعلنا نقول بأن اللذة مع المرأة ينقسم إلى: إما أن يكون دنسا وغريزة تبحث الخلاص منها أو أن المرأة تتحول كوردة نتوق إلى شمها وحضنها. ملاحقة المرأة في الغرب ووجودها في الرواية المغاربية، لا يعني أبدا الخضوع لقيم الحضارة الغربية المادية بقدر ما هو مواجهة ورفض له، وقد

mutilation sexuelle, la prostitution, l'homosexualité, l'inceste) : السادية والمازوشية، (Les Sadomaso)، المرأة المرأة (Les lesbiennes)، الخنثى: نصف أنثى ونصف رجل (L'androgynie: un être double: mi-homme, mi-femme) ثم الرجل الرجل (Homosexualité masculine).

تحدد هذه الظواهر التي تبرز في الروايات المغاربية في الأغلب على خلفيات النشأة والثقافة ومفهوم الكاتب للجنس وموقفه منه في الممارسة الروائية.^{٦٥} فالمعلوم لدى الجميع أن البيئة المحافظة والثقافة التقليدية يبلوران في الأغلب موقفا محافظا يتهيب من أحكام البيئة وضوابط الأعراف الاجتماعية والدينية. فيعرض لموضوع الجنس بشكل محتشم لأنه من الموضوعات المحرمة في الذهنية العربية الإسلامية. وعليه يعتمد الكاتب في الحديث عنه باستخدام أفانين الكلام من مجاز واستعارة وتشبيه: فنون بلاغية تسهم مجتمعة لتشكيل رموز شفافة ودالة عن المسكوت عنها. يلجأ الكاتب لذلك مخافة ارتكاب المحظور وتجاوز المسموح به من الكلام. إلا أن ذلك لم يحل دون وجود بعض التجارب الروائية ذات التعبير العربي والفرنكفوني التي تميزت بجرأتها في طرح هذا الموضوع كرشيد بوجدر في الجزائر ومحمد شكري في المغرب الأقصى..

نستطيع أن نؤكد في الموضوع ذاته، بأن الكتابات في الرواية المغاربية قد طرقت لموضوع "الجسد والجنس بنوع من الحرج فتحدثن عنه . في الأغلب .

^{٦٢} د. بوشوشة بن جمعة، الرواية النسائية المغاربية، سبق ذكره، ص: ٨٥.

^{٦٣} أوتو جيسبرن، اللغة والمرأة، ترجمة حسام الخطيب، مجلة "الأدب"، العدد ٦، حزيران، ١٩٦٣م، السنة ١١.

^{٦٤} محمد زفزاف، المرأة والوردة، سلسلة الكتاب الحديث، منشورات غاليري ١، بيروت، ١٩٧٢م، ص: ٦٤.

^{٦٥} د. سيزا قاسم، بناء الرواية، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٥م، ص-ص: ١٧٧-١٩٤.

تعني اللذة مع المرأة الغربية في الأدب المغربي: إدانة الجنس في هذه البلاد إذ يتحول الرجل إلى وحش كاسر^{٦٥} في ممارسته له بلا شعور أو إحساس.

٥- الأيديولوجيا: حضور الأيديولوجيا صارخ في أغلب النصوص المغربية مما جعل الرواية المغربية رواية أيديولوجية بامتياز، يحضر فيها الموقف بكل عنفوان وهو موقف معارض في الأغلب لأيديولوجيا السلطة المهيمنة ومعبر في الوقت نفسه عن أيديولوجيات كتاب هذه الرواية. وهنا نشير إلى عبدالله العروي وهو يؤكد بأن المثقف العربي يعيش بأفكاره في عالم وبذاته في عالم آخر، أي أنه في ديمومة الاغتراب والضياغ.^{٦٦}

٦- الأرض:

الحنين للوطن (La nostalgie) ويحملها كلٌ منا في اللاشعور. إن ما يحفل به التراث أو ما يبقى منه هو الوجه الأصيل الذي يتجلى في الحياة الإنسانية: الحب، الهجر، الألم، الغربة، الموت... إننا نثار عندما نجد في تراث الآخر عناصر ما تشبه ما لدينا من موروث، فيتعرف الآخر علينا من خلال ما نقدمه له ونعرفه بوجودنا ونحكي ثقافتنا من خلال ما كتبناه... أما عنوان الانتماء وشهادة الهوية فتحضر عبر التقاطب: المنفى/ الوطن، الإقطاع/ وصغار الفلاحين...

٧- الأنماط الروائية: تتعدد الأنماط الروائية وتختلف باختلاف تراكيبها وصيغها، ومن أنماطها: الرواية الواقعية: الواقعية النقدية أو الواقعية الاشتراكية والعديد من الأنماط، كما تضم الروايات المغربية مقاربات ودراسات إلى جانب شهادات تعيد التأكيد على "ضرورة الرواية ونقدها المتعدد"^{٦٧}، وعلى ما حققته الرواية المغربية من تراكمات في فضاء المشهد الإبداعي. والعديد من الدراسات تثبت مدى ما تمثله الرواية في المغرب العربي ومدى ما يرسخه التفكير النقدي بصدها، ممثلة في أسماء نقدية وتجاربهم التي تسعى إلى إبراز قيمة التأمل النقدي في الخطاب الروائي، لمزيد من ترسيخ الوعي المعرفي بالنقد الروائي من خلال مناهجه وتصورات ومفاهيمه.^{٦٨}

كما أن البعد الحوارى للرواية المغربية يوضح قدرتها على بناء خصوصيتها وجديتها ومكانتها يساعد في صياغة تصورها الإبداعي وهاجسها التجريبي داخل نطاق الجنس الروائي. فالرواية المغربية تحمل في طياتها توازناً راقياً بين الكتابة والحكاية وأصول الخيال. وللتأكيد فإن الروايات المغربية تسير نحو خلق توازن بين مختلف وظائفها الجمالية والمعرفية والتداولية التي تتجلى في مختلف أرجاء المغرب العربي والعالمي.

^{٦٧} تدخل الثقافات والكتابات الأدبية، فعاليات الملتقى المنتظم بقصر المجمع من ٧ إلى ٩ جانفي ٢٠٠٢م، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة - قرطاج، ٢٠٠٣م.

^{٦٨} عبدالحق ميفراني، مجلة أفاق المغربية، مجلة اتحاد كتاب المغرب، عدد مزدوج، العدد (٧٩ و ٨٠)، ملف مهم عن: "أسئلة الرواية المغربية: دراسات وشهادات". نشر في الاتحاد الاشتراكي بتاريخ ٢٠١١/٠٤/٢٦م.

^{٦٥} Sigmund Freud, Totem et tabou: une interprétation par la psychanalyse de la vie sociale des peuples primitifs, éd. petite Bibliothèque, Payot, 1979.

^{٦٦} عبدالله العروي، الأيديولوجيا العربية المعاصرة، ترجمة: محمد عيتاني، دار الحقيقة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٠م، وسعيد عويش: الرواية والأيديولوجيا في المغرب العربي، دار الكلمة للنشر، ١٩٨١م.

مجمله على الخيال القائم على بعض الكشوفات العلمية. والنصوص الروائية من هذا الطرح قليلة جدا. ومنها: (الطوفان الأزرق ١٩٧٦): لأحمد عبد السلام البقالي و(أكسير الحياة ١٩٧٦) لمحمد العزيز الحبابي في السنة ذاتها في المغرب الأقصى و(سندباد الفضاء ١٩٧٨) لطيب التريكي في تونس.^{٧١} وجميعها نمط حاول فيه بعض الكتاب أن يحاكو نصوصه الغربية ولكنه سرعان ما تلاشى لفتور تقبل القارئ المغربي والعربي لمثل هذه الأنماط.

د- رواية التأصيل أو التراث: الأصالة والحداثة: يعد حضور الماضي في الثقافة المعاصرة بعثا للنزعة التأصيلية في بعض الروايات المغربية المدونة باللغتين الفرنسية والعربية. فهناك من الكتاب من عاد إلى التراث واستثمر شخصيات ذات قيمة تاريخية ليبني عليها روايته كما فعل الكاتب المغربي إدريس شرايبي في روايته: (L'Homme du Livre) والكاتب التونسي محمود المسعدي في رواية: (حدث أبو هريرة قال...^{٧٢})، فالعودة إلى التراث مكنت هاتين الشخصيتين من الغوص في مألدهما من أصالة وبعثهما من التراث الديني والحضاري الإسلامي ليصلا إلى فكرة المعاصرة والعراقة؛ ففسدا من هاتين الشخصيتين الذات العربية في عصريهما المتجاذبين بين قطبين

تبرز أصوات الرواية المغربية الجديدة مؤشراً للتحويل في وعي المرحلة الحديثة فنيا وجماليا. فهناك ثراء تخيلي وتعبيري واهتمام متزايد باستعادة فن الحكاية مما يجعلها نصوصا مفتوحة على العالم وعلى مواكبة تحولاته. كما تعمل الرواية المغربية على تشكيل مدخلا أساسيا في قراءة النصوص الأدبية وتحليلها لأنها تحيل إلى علاقتنا بالنص وتأويله وعلاقتنا بالعالم.^{٦٩} وتنقسم الرواية المغربية إلى:

أ- الرواية التاريخية: نقصد بها تكميل التاريخ في بعض جوانبه وأحداثه. فتدخل معظم الحقائق التاريخية لإلباس الرواية ثوب الحقيقة وذلك من خلال سرد الأحداث. فالتاريخ النضالي لشعوب المغرب العربي إشكالية أساسية في المتن السردي الروائي ولمختلف المواقف.

ب- رواية السيرة الذاتية: تسيطر ضمائر المتكلم عند المؤلف في رواية السيرة الذاتية، على جل أعماله السردية. كما نجد أن عنصر (الأنا) يسيطر على حوارات الشخصيات وترسم شيئا من وضعها الاجتماعي والنفسي وتتمحور ما بين الذاتي والموضوعي والواقعي والمتخيل.^{٧٠}

ج- رواية الخيال العلمي (Science fiction): تعمق هذا النوع خاصة بعد النصف الأول من القرن العشرين ويركز على محاولة كشف أسرار المستقبل العلمية والفضاءات الكونية. ينبني هذا الأدب في

^{٧١} أنظر د. بوشوشة بن جمعة، إتجاهات الرواية في المغرب العربي، المغربية للطباعة والنشر والأشهار، ١٩٩٩م

^{٧٢} Driss, Chraïbi, L'Homme du Livre, éd. Balland-Eddif., 1995, p. 94.

^{٧٣} محمود المسعدي، حدث أبو هريرة قال، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٧٣م،

^{٦٩} مجلة آفاق المغربية، مجلة اتحاد كتاب المغرب، عدد مزدوج، العدد (٧٩ و ٨٠)، المرجع السابق ذاته..

^{٧٠} د. بوشوشة بن جمعة، التجريب وإرتحالات السرد الروائي المغربي، المغربية للنشر، ٢٠٠٣م.

متنافرين وبين حضارتين وثقافتين ليستا مختلفتين فحسب بل متناقضتين. يكشف هذا الطرح عن حداثة الكتابة لدى الكاتبين اللذين يؤمنان بضرورة التجديد "دون أن ننقطع عن جذورنا الثقافية الحية".^{٧٤} هذا وتهتم الرواية التقليدية برسم دقيق للشخصية وحبك لحكاية ممتعة بينما تعتمد الرواية الحديثة على اللاشعور والأصوات الخفية في أعماق الإنسان. تمكن الكاتبان من استثمار هاتين الشخصيتين ومنحاهما صفات عصرية تتعايش مع جوهريهما وحقيقتيهما...ولهذا حاولا تأصيل فكرة الهوية الثقافية والحضارية في بعدها العربي والإسلامي لتتمكن من مواكبة عصرها الجديد.

تتلخص الرواية المغاربية المتأصلة والمكتوبة بلغتين والتي تستند إلى التراث العربي الإسلامي، من قيود الرواية الغربية كرواية جمال الغيطاني عندما كتب "الزيني بركات"^{٧٥} واستند إلى عناصر ذات طابع عربي أصيل حاول من خلاله: "التعبير عن قضايا الواقع الجغرافي وتحقيق قدر أكبر من حرية التعبير"، وقد أوضح بأنه كان يبحث منذ زمن "بضرورة خلق أشكال فنية للرواية، تستمد عناصرها من التراث العربي...^{٧٦} فالعودة للتراث هنا، يمثل نزعة تجاوزية وحداثية لإثبات الهوية الثقافية والحضارية.

وفي الرواية المغاربية، وظف التراث ضمن مذهب تحديشي في الكتابة الروائية عبر استرجاع النص التراثي والتمتن الحكائي. لقد مثل هذا النمط التأصيلي عدد كبير من الكتاب المغاربة وباللغتين الفرنسية والعربية كإدريس شرابيبي والطاهر بن جلون وبو جدرة وأحلام مستغانمي وواسيني الأعرج وغيرهم الكثير. العودة للتراث كما يوضح الكيلاني: "ليس نصوصا جامدة تحفظ في أمهات الكتب القديمة، بل هو الفكر الحاضر يعيد الحياة للنص التراثي ويزرع فيه روحا جديدة".^{٧٧}

هـ- رواية التغريب: استثمر عدد من الكتاب منجزات الرواية الغربية واستندوا في ذلك إلى أن: "الرواية فن غربي بحث. بأصوله.. وبقيمه الفنية ومعاييره الموضوعية التي رسمها له كبار النقاد والأدباء".^{٧٨} وهناك من يؤكد بأن الرواية العربية موزعة "بين رأي غربي لا يجد أصوله العربية إلا في الغرب، ورأي آخر مناقض لا يرى في الرواية العربية إلا تلك الأصول العربية التي أفرزتها المقامة".^{٧٩} بل ويعتقد بأن مصدر إلهامها غربي بحث. يلجأ بعض الكتاب إلى اتخاذ الرواية الغربية نموذجا ومرتكزا أساسيا نتيجة محاكاتها "وتجسيدها روح المعاصرة، وبأن الحداثة الروائية لا يمكن أن تتحقق إلا من خلال منجزات الغرب الروائية،

^{٧٧} مصطفى الكيلاني، إشكاليات الرواية التونسية، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات (بيت الحكمة)، تونس، ١٩٩٠م، ص: ٢٠٠.

^{٧٨} سيد حامد النساخ، بانوراما الرواية العربية، المركز العربي للثقافة والعلوم، ١٩٨٢م، ص: ٢٥٣.

^{٧٩} عبدالرحمن بو علي، المغامرة الروائية، منشورات جامعة محمد الأول، وجدة، المغرب، ١٩٩٦، ص: ٥٥.

^{٧٤} د. بوشوشة بن جمعة، ارتحالات السرد الروائي المغاربي، مجلة: "علامات في النقد"، جدة، المجلد ١٤، الجزء ٥٦، ربيع الآخر ١٤٢٦ هـ، جوان ٢٠٠٥م.

^{٧٥} جمال الغيطاني، الزيني بركات، تونس، دار الجنوب، ١٩٩١م، صدرت الطبعة الأولى بدمشق سنة ١٩٧٤م.

^{٧٦} جمال الغيطاني، القلق، التجريب، الإبداع، حوار أجرته عائدة بامية مع الكاتب نفسه، "مواقف"، العدد ٦٩، خريف ١٩٩٢، ص: ٩٨.

بالأحرى ذاكرات: الذات، المجتمع، التاريخ، الماضي، الحاضر...، تتفاعل فيما بينها لتنتج ذاكرة النص. لقد اشتغل كتاب هذه الرواية بكثافة على الذاكرة التاريخية منها والمعاصرة. تقنية التذكر مكنت كتاب الرواية من اختراق النسق الكلاسيكي للزمن في تعاقبه ليحل آخر في مكانه يقوم على التداخل بين الأزمنة مما شكل إضافة نوعية في تشكيل الخطاب الروائي المغربي.

التداعي

تتداعى الأفكار والمواقف في الرواية المغربية في نصيها العربي والفرنسي وتتوالى كما يقول الروائي سعيد بوطاجين عن الرواية الجزائرية بأن: "النص الروائي الجزائري أصبح موضوعاً للدراسات الأكاديمية في الجامعات الدولية"^{٨٠}، وهذا الأدب جزء لا يتجزأ من الأدب المغربي، ويتطرق الكاتب بوطاجين في حوار الذي جمعه بـ "الجزائر الجديدة" إلى واقع الكتابة الروائية في بلده الجزائر، التي استطاعت أن تخترق الحدود الوطنية كونها كتبت رواية تمثيلية استطاعت أن تفرض نفسها على الساحة العربية خاصة في الساحات العربية اليوم بالرغم من الأزمة التي عرفت الجزائر، وبحسب ما كتبه آخرون عن الرواية الجزائرية فإن ثمة مجهودات محترمة لا يمكننا إنكارها لأنها ارتقت بالنص الروائي الجزائري إلى مرتبة مميزة، وأصبح هذا النص موضوع اهتمام الدراسات التي تنتج في الجامعات العربية.

لافتقار الموروث السردى العربى السمات الكفيلة بجعله رافداً إبداعياً منتجاً. وعلى هذا الأساس كان رفضه أن ينقطع عن أصوله الثقافية ليغترب في صياغات الغير وأصر . في عناد شديد . وكان الوحيد لا يتقدم في العمر إلا مستمرا مع ذاتيته الحضارية.. ولا يؤسفه شيء.."^{٨٠}

و- الرواية الوطنية: اضطر كثير من الكتاب المغاربة المناضلين ما بعد الاستعمار إلى الكتابة بصياغة دفاعية عن الوطن والدين واللغة والعرض لإثبات الهوية المستلبة من المستعمر والتعبير عن المواقف السياسية الأخرى وخاصة في نصوص الكتاب الذين عاشوا التجربة المريعة مع المستعمر أمثال محمد ديب وكاتب ياسين ومولد فرعون... فالحركة الوطنية في فترة الاحتلال تشكل محورا أساسيا في بناء الروايات، إذ تتحرك النزعة الوطنية ضد المستعمر مما أسهم في تبني فكرة الجهاد بالمال والنفس والكلمة. لم ينطلق الوعي لدى الكتاب من هاجس مقدس^{٨١} فحسب بل من معاناة ضغط المستعمر الاقتصادي والسلطوي وما يحمله من تهديد للحريات والمصالح التقليدية وشل حركة أهل البلاد.

جماليات الكتابة:

الذاكرة: استخدمت الرواية المغربية ما يسمى بالعودة إلى الوراء (flash-back)، كما تمثل الكتابة الروائية في المغرب العربي بأنها كتابة ذاكرة أو

^{٨٠} د. بوشوشة بن جمعة، ارتحالات السرد الروائي المغربي، مرجع سبق ذكره.

^{٨١} لحداني حميد، الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي: دراسة بنيوية تكوينية، دار الثقافة، ١٩٨٥ م ص: ٨٥

^{٨٢} سعيد بوطاجين، السرد وهم المرجع: مقاربات في السرد الجزائري الحديث، منشورات الاختلاف، ٢٠٠٦ م

تيار الوعي: الوعي بالذات وكيفية التعامل مع الآخر وسيلة مهمة للتكيف والعيش من أجل إشباع رغبات الذات سيما بالعالم الغربي. لهذا يجد بعض أبطال الروايات بالغرب مصدرا لحل مشاكلهم الذاتية الخاصة التي كانت تؤرقهم ويعانون منها فيتعلقون بها ويتعايشون معها. يتضح الوعي بالغرب في الإبداع المغربي من جانبين؛ يبرز الجانب الأول في جانب لا إنساني تمثله العنصرية والظلم والقهر والطبقية والجنس والجريمة والمخدرات والمسكرات والضياح، في حين يبرز الجانب الآخر في شكل الغرب الحضاري الانبساط والحيوية الذي يصور: الحب والحرية والحلم والمدنية...

اللاوعي: يمكن رصد ملامح اللاوعي في روايات متعددة تبحث في اللاشعور القومي والوطني عبر الشخصيات والأحداث. فبعض هذه الروايات تبحث عن الذات العربية وتدافع عن قضاياها وهويتها إذا ما تحدثت عن الذل والظلم والاستعمار والقهر والسلطة... وهذا ما يتضح في الروايات المغربية عموما، أما غياب الوعي بالنسبة للشخصيات فينعكس في شكل مواقف وسلوكيات ويتجلى المظهر الفكري لغياب الوعي في وظائف متباينة مع تبرير المواقف واضطراب الآراء بين شخصية الراوي المنخولة والموزعة بين وعي ولا وعي. من هذا المنطلق، سارع الروائيون المغربي إلى تجريب الكتابة السردية الجديدة؛ لأسباب ذاتية وموضوعية منها:

١. المناقشة مع الفلسفة الغربية وآدابها: قراءة وترجمة وكتابة وتعلما...

٢. التأثر بالرواية الفرنسية الجديدة عند (كلود سيمون (Claude Simon)، وميشيل بوتور (Michel Butor)، وآلان روب غرييه (Alain Robbe-Grillet)، وجان ريكاردو (Jean Ricardou)،...، ورواية تيار الوعي أو الرواية المنولوجية عند جيمس جويس (James Joyce)، وفيرجينيا وولف (Virginia Woolf)، وهمنغواي (Ernest Miller Hemingway)، ودوس باسوس (Dos Passos)، وكافكا (Kafka)، ومارسيل بروست (Marcel Proust)...

٣. الاطلاع على النصوص الروائية العربية الجديدة أمثال: عبد الرحمن مجيد الربيعي، والطيب صالح، وغسان كنفاني، وعبد الرحمن منيف، وغالب هلسا، وحيدر حيدر...

٤. التحولات التي عرفها العالم العربي والإسلامي سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا لا سيما بعد هزيمة حزيران ١٩٦٧م.

٥. بروز فكرة التمرد على الأنماط والقوالب الفنية الكلاسيكية.

وعليه، نوع الروائيون المغربية الجدد مواضيع طرحهم: التذويب- المجتمع- السلطة- الهجرة- البطالة- القهر- الجنس- الفقر- الموت- الإخفاق- الغربة- الشطارة- العبث...، كما نوعوا أشكال كتاباتهم الفنية: المحكي الشعري، والبوليفونية، العجائبية، والخطاب البيكارسكي، التشظي، والتناوب السرد، والروائية في الرواية، والسرد الرمزي والأسطوري...

والاسترجاع في رواية (جنوب الروح) لمحمد الشعري. لقد نتجت هذه الظاهرة التجريبية عن المثاقفة والاقتباس والتأثر بالرواية الجديدة عموما في الغرب والرواية العربية اليوم.

تداخل الشخصيات وازدواجها:

تتداخل شخصية بطل الرواية عموما مع شخصية المؤلف نفسه في كثير من المواقف عبر الزمان والمكان، والبطل أو الراوي هنا ذا مكانة فريدة ومحورية في سير أحداث الرواية وتسييرها واستخدام تقنية الإسقاطات والاستفادة من الرموز الأسطورية كل حسب ما يراه مناسباً لمدلولاته. وهذا ما برز فعلا في تقنيات الرواية المغربية المعاصرة بالذات.

تداخل الخطابات: يعد تداخل النصوص أو ما يسمى بالرواية داخل الرواية أو ما يسمى في المغرب العربي بالتناص في الأدب رافداً من روافد الرواية المغربية، ويقصد بهذا المصطلح النقدي وجود تشابه بين نص وآخر أو بين عدة نصوص، ويقال في اللغة تناص القوم أي ازدحموا. أما كمفهوم، فهو تداخل نصوص أدبية مختارة قديمة أو حديثة شعرا أو نثرا مع نص آخر أصلي، بحيث تكون منسجمة وموظفة ودالة قدر الإمكان على الفكرة التي يطرحها كاتب ما.

أما بداية البحث حول التناص فكان مع جوليا كريستيفا (Julia Kristeva) عام ١٩٦٦م، عندما درست كتابات ميخائيل باختين (Mikhail Bakhtine)، عن الروائي الروسي دوستويفسكي (Dostoevski) الذي لم يذكر مصطلح التناص نمطاً لدراساته ولكنه اكتفى "بتعددية الأصوات".

ومن أهم خصائص الرواية المغربية التجريبية تداخل الأزمنة؛ إذ تداخل الحاضر مع الماضي والمستقبل في شكل تداعيات وأحلام واسترجاع كما نجد في رواية (رفقة السلاح والقمر) لمبارك ربيع، و(أوراق) لعبد الله العروي، و(زمن بين الولادة والحلم) لأحمد المديني، و(حاجز الثلج) لسعيد علوش... يلاحظ كذلك "شعرة"^{٨٣} الخطاب الروائي؛ إذ يتداخل المحكي السردى النثري مع الخطاب الشعري كما في كتابات محمد عز الدين التازي (المباءة) وأحمد المديني. وتستخدم الأجناس الأدبية داخل الرواية لدى محمد برادة في (الضوء الهارب) أو خناثة بنونة في (النار والاختيار). وتوظف الرواية المغربية تقنية الهوامش كما عند العروي في (أوراق)، ويلجأ الروائيون المغربية إلى التعددية الأسلوبية واللغوية وتنويع الأجناس كما في رواية (لعبة النسيان) لمحمد برادة.

تستدعي الرواية الجديدة القصصات الإذاعية والإعلانية، وكذلك أسطورة المحكي السردى في رواية (بدر زمانه) لمبارك ربيع، والتركيز على تقنية المسخ العجائبي في (أحلام البقرة) لمحمد الهادي، و(سماسرة السراب) لبن سالم حميش، وفضح أسرار اللعبة الروائية كما في (لعبة النسيان) لمحمد برادة و(أوراق) للعروي. كما التجأت هذه الرواية إلى التشظية والخراب الروائي في كثير من النصوص، ووظفت التخيل في (الخبز الحافي) و(الشاطر) لمحمد شكري، و(الرحيل والألم) للعربي باطما،

^{٨٣} د. فوزي الزمرلي، شعرة الرواية العربية: بحث في أشكال تأصيل الرواية العربية ودلالاتها، مركز النشر الجامعي، تونس، كلية الآداب، جامعة منوبة، ٢٠٠٢م.

وللعودة لبارت،^{٨٤} فإن النص عبارة عن نسيج من الاقتباسات والإحالات والأصداء من اللغات الثقافية السابقة أو المعاصرة التي تخترقه بكامله، والتناص هو تفاعل أنظمة أسلوبية من حيث التلميح والإيماء المتعلق بالموضوع، وهو من أهم الأساليب النقدية المعاصرة في الشعر، كمفهوم سيميائي يساهم في تفكيك بنية النصوص. أما كريستيفا^{٨٥} ووفق مفهوم التناص الذي صاغته، فتري أن النص بُني على طبقات، وتتكون طبيعته التركيبية من نصوص متزامنة معه وسابقة له. والتناص أنواع، فهناك المباشر، وهو ما يعرف بالسرقة أو الاقتباس والأخذ والاستشهاد والتضمين... قد ينسب الأديب إلى ذاته، كما قال الأخطل: نحن الشعراء أسرق من الصاغة. وهناك تناص غير المباشر، كالتلميح والتلويح والإيماء والمجاز والرمز، وهو عملية لاشعورية يستنتج الأديب من النص المتداخل معه أفكارا يرمز إليها في نصه الجديد.

لقد شاع التناص في الأدب الغربي قبل الأدب العربي وتأثر الأدب المغربي الذي وصلت إليه هذه الظاهرة مع جملة ظواهر أخرى عبر الاحتكاك الثقافي إضافة إلى التراكمات التراثية الأصلية، ومع اختلاف الآراء حول بداية نشوئه. يعتقد البعض أنه غربي الأصول والبعض الآخر عاد إلى الماضي العربي، ونبش في جذور الثقافة العربية، بغية إيصال التناص إلى نسبه الحقيقي عبر عناصر

فالتناص عند كريستيفا هو أحد مميزات النص الأساسية، التي تحيل على النصوص الأخرى السابقة عنها والمعاصرة لها، ويظهر بشكل مباشر مع التحليلات التحويلية في النص الروائي عندها. ومصطلح التناص مأخوذ في جوهره من المصطلح الفرنسي (intertext) وهي كلمة مقطعة: (inter) تعني بالفرنسية التبادل، بينما كلمة (texte) تعني النص، وأصل الكلمة كلها مشتق من الفعل اللاتيني (textere) أي التبادل النصي، وقد ترجم إلى العربية بالتناص أي تداخل النصوص ببعضها البعض، ومنها تبين لنا أن مساحات التناص في التاريخ الشعري قد شهد الكثير من التناص أو التداخل في كثير من القصائد، لدرجة أنه لا يعرف النص الأصلي من المتناص معه فكان لا بدّ من إخضاع النصوص إلى التشريح السيميولوجي. وغالبا فإن النص الجديد عبارة عن تداخلات مع نصوص سابقة، الشرط فيها وجوب الاختلاف وإلا أصبح تكرارا وإعادة، كتشكيل نص جديد من مجمل النصوص السابقة، ويبني النص الجديد على ما سبقه من نصوص ليكون خلاصة لها بحيث لا يبقى للنصوص السابقة إلا الأثر. والتناص ليس التداخل مع النصوص القديمة فقط، بل يتضمن مفاهيم قادرة على استيعاب النصوص الجديدة. إذا اعتمد الكاتب التناص فإنه لا يكتب نصا جديدا، وإن ظن أنه يبدع لأنه أخذ من المشترك العام للغة والأفكار. النص المدمج بالنص الجديد يتحلى بصفات وملامح أخرى مستمدة من نص سابق وهو ثمرة نصوص مخترنة في الذاكرة الإنسانية.

⁸⁴ Roland Barthes, *Le plaisir du texte*, Paris, Point essais, 1973-1982.

⁸⁵ Julia Kristeva, *Séméiotiké, Pour une sémanalyse*, Seuil, Paris, 1969.

بعد، وهو العدم الذي سيصبح وجوداً بعد اختفاء الحاضر، وتحوله إلى الماضي. والزمان عنصر رئيسي من عناصر تكوين الرواية، وهو نوعان: زمن خارج النص، وهو زمن موضوعي، وزمن داخل النص وهو زمن تخيلي انفصم عن الزمان الموضوعي، وتداخل مع النسيج الروائي. لتداخل النصوص. وله أهمية كبيرة في بناء النص الروائي، إذ يحدد عوامل فنية مرتبطة بالخطاب الروائي كانتقاء الأحداث وترتيبها، والإيقاع وطريقة السرد... يحمل كل عمل فني بنية زمنية وأخرى مكانية، الأولى تعبير داخلي والأخرى مظهر حسي، تتلاحم البنيتين وتشكلان إبداعاً وعملاً فني. يقول زكريا إبراهيم عن هذه الحقيقة الفنية: "لابد للعمل الفني من بنية تعد بمثابة المظهر الحسي الذي يتجلى على نحو الموضوع الجمالي، كما أنه لابد من بنية زمنية تعبر عن حركته الباطنية ومدلوله الروحي بوصفه عملاً إنسانياً حياً".^{٨٩}

يرتب الروائي أحداثه ترتيباً تاريخياً، لا مجال فيه لتداخل الأزمنة. تجسدت هذه الرؤية الزمنية في رواية زينب لمحمد حسنين هيكل. وهي أول رواية ظهرت في الأدب العربي الحديث سنة ١٩١٤. حيث نجد "زينب" فتاة ريفية جميلة تحب "إبراهيم العامل الفقير، ولكن الأهل يزوجونها كرهاً لشاب آخر يدعى "حسن"، ويمضي الزمان بالأحداث في هذه الرواية في اتجاه طولي رتيب مألوف، لجأ إليه الكاتب للمحافظة على السياق التاريخي دون تقديم أو تأخير.

الاتصال المألوفة: المرسل، الرسالة، المرسل إليه. والأكد أنه لا يمكن للأديب أن ينفصل في تكوينه الثقافي الأدبي عن غيره، لأن الحقل المعرفي لأي أديب يتكون عبر التواصل المعرفي. فالتناص هو الحوار الواقع بين الكتابات المختلفة التي تقع للكاتب قبل كتابته أو أثناءها شعورياً أو لا شعورياً. ومما سبق فإن كتاب المغرب العربي يمثلون في كتاباتهم هذا التناص.

تداخل الأمكنة: الأمكنة عبارة عن فضاء رمزي وفضاء واقعي، فالمكان بالنسبة لها مكان جغرافي، بل هو حالة ذهنية أو فكرة يتوصل الكاتب لإيحائها وبث الحياة فيها بكل ما يمكن أن يعينه على إعادة بنائها وتثبيتها في الذاكرة مستخدماً وسيلته اللغة.^{٨٦} واللغة وسيلة تواصل وأداة تعبير وهو نتيجة حركة تداخل تقوم بين الذات والمعنى^{٨٧} ومنها يتم استرجاع ذكريات قريبة أو بعيدة لا تخالف في كل الحالات "إعادة إنتاج الواقع المحسوس بواسطة اللغة".^{٨٨}

تداخل الأزمنة: نقصد بتداخل الأزمنة تداخل الحاضر مع الماضي، وبعبارة أخرى ننقل الزمان بحركته اللامرئية بين ثلاثة أبعاد: الماضي وهو ما كان موجوداً، ولم يعد له وجود وأصبح عدماً، والحاضر وهو الوجود والرباط الحقيقي بين (الماضي) و(المستقبل)، والمستقبل الذي لم يوجد

^{٨٦} د. بشير بويجرة محمد، بنية الزمن في الخطاب الروائي، الجزائري، ١٩٧٠-١٩٨٠، منشورات الأديب، ج ٢، ص ١٩٧٠-١٩٨٠، ط ١، ص ٢٠٠٨، ص ١٢٠.

^{٨٧} د. أمانة بعلي، متخيل في الرواية الجزائرية من المتماثل إلى المختلف، دار الأمل للطباعة والنشر، ٢٠٠٦، ص ٥١.

^{٨٨} مجلة النقد والدراسات الأدبية واللغوية، العدد الثاني، ٢٠٠٨-٢٠٠٩، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر، ص ١٨٥.

^{٨٩} زكريا إبراهيم، مشكلة الفن، مكتبة مصر، القاهرة (د.ت)، ص ٢٧.

الرواية المغربية وجودها ضمن أجناس الإبداع الأخرى فحوت الشعر والمسرح والفن التشكيلي والسينما والمذكرات واليوميات والرسائل وغيرها من الإبداعات الروائية.

تعدد الأصوات السردية: تسمى الرواية الكلاسيكية أو الرواية الفنية ذات البناء التقليدي رواية الصوت الواحد. وسماها نقاد الرواية بالرواية المنولوجية. في حين، لم تظهر الرواية البوليفونية المتعددة الأصوات إلا مع دوستيفسكي (Dostoïevski)، حسب المنظر الروسي ميخائيل باختين (Mikhail Bakhtine).

تعتمد الرواية البوليفونية على تعدد المواقف الفكرية، واختلاف الرؤى الإيديولوجية، وترتكز على كثرة الشخصيات والرواة والسرد والمتقبلين، وتستند إلى تنوع الصيغ والأساليب، واستعمال فضاء العتبة،^{٩٢} وتوظيف وحدة الزمان والمكان أو ما يسمى بالكرونوتوب (Chrono tope)، وتشغيل الفضاءات الشعبية الكرنفالية.

البوليفونية (Poliphonie)، هي لغة تعدد الأصوات، وقد أخذ هذا المصطلح من عالم الموسيقى، ليتم نقله إلى حقل الأدب والنقد. والرواية البوليفونية هي تلك التي تتعدد فيها الشخصيات المتحاور، وتتعدد فيها وجهات النظر، وتختلف فيها الرؤى الإيديولوجية. بمعنى أنها رواية حوارية متعددة، تنحى المنحى الديمقراطي، بحيث تتحرر بشكل من

ومع تطور الرواية الحديثة، تطور مفهوم الزمن الروائي فيها ليصبح الزمن منفصلاً عن زمنيته.^{٩٠} كما تداخلت المستويات الزمنية من ماض وحاضر ومستقبل تداخلاً عجيباً، فاخترق الترتيب الزمني المباشر للمادة الروائية، وأصبحت الرواية تتناول الزمن بطريقة تتضمن الإشارات المتقابلة، أو المتعاقبة للأزمنة المختلفة. كما يكاد أن يكون مستحيلاً دراسة الزمن عنصراً مستقلاً بنفسه في الرواية الحديثة؛ لأن الزمان لا يتمتع "بوجود مستقل نستطيع أن نستخرجه من النص مثل الشخصية أو الأشياء التي تشغل المكان أو المظاهر الطبيعية، فالزمن يتخلل الرواية كلها، ولا نستطيع أن ندرسه دراسة تجزئية، فهو الهيكل الذي تشيد فوقه الرواية".^{٩١} ومن هنا، تأتي أهميته عنصراً بنائياً يؤثر في العناصر الأخرى وينعكس عليها.

تداخل الأجناس الأدبية في الرواية المغربية:

الأدب "مرآة للواقع" كما يقول الناقد تدروف (T. Todorov) في كتابه الذي صدر سنة ٢٠٠٧ بعنوان: "الأدب في خطر"، لقد شرح تدروف قيمة الأدب الحقيقية الكامنة في تشريح الواقع بكل تصدعاته وأزماته. واعتبر التناسل في مختلف أنواعه وتشكلاته تقنية استفاد منها الكثير من كتاب الرواية المغربية سيما في تشكيل نصوصهم الإبداعية وممارساتهم الأدبية التي تتميز بانفتاحه على غيره من الأنواع الأدبية والفنون. لقد فرضت

^{٩٢} الفضاء أو العتبة (Seuil) في الرواية البوليفونية، هو مقر الصدمات والأزمات والمشاكل العضوية والنفسية. فالأماكن التي يعيش فيها البطل أو ينتقل عبرها هي أماكن موحشة وعدوانية، تثير الاشمئزاز والقلق والغثيان والموت.

^{٩٠} ألان روب جرييه، نحو رواية جديدة، ترجمة: إبراهيم مصطفى إبراهيم، دار المعارف بمصر، القاهرة، ص ١٣٧.
^{٩١} سيزا قاسم، بناء الرواية، دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٤، ص ٢٧.

تعدد اللغات والخطابات: المقصود هنا هو تعدد سجلات الكلام، كلغة الحديث اليومي التي تتخللها في الغالب لغة السرد الفصيحة، وهناك لغة المهنيين الدارجة ومصطلحاتهم، ولغة النقد الروائي كالتقنيات والمصطلحات التي يستخدمها الراوي، ولغة الكتابة كالرسائل التي تكتب داخل الرواية، واستخدام اللغة الأجنبية أو مصطلحاتها كواقع لغوي، يتضح عند الكتاب والنقاد في بعض بلدان المغرب العربي ويعيشه المواطن في حياته اليومية.

موت المؤلف وبعث القارئ:

يعود الفضل في ظهور فكرة موت المؤلف في النقد الروائي في فرنسا إلى الناقد الفرنسي رولان بارت (Roland Barthes) في الستينات من القرن العشرين حيث وضع حدا لحضور المؤلف في الرواية لكي يعوضه بشخصية من الشخصيات ذات الوظائف الجمالية التي كان يقوم بها. يفيد موت المؤلف أو غيابه في عدم تدخله في النص، وبالمقابل ينتقل القارئ من الهامش إلى النص، ويصبح ذا دور فاعل وإيجابية كما هو الحال عليه في نصوص روايتي الكاتبة الجزائرية أحلام مستغانمي: فوضى الحواس (١٩٩٦) وعابر سرير (٢٠٠٣)؛ إذ تعلن شخصية صاحب الثوب الأسود عن قتلها للكاتبة والحلول محلها، والقيام بدور الكتابة عوضا عنها.^{٩٤}

تشظية النص الروائي المغربي:

استخدم جيل الثمانينات من كتاب الرواية المغربية تشظية النص تقنية روائية، وقد استمدوها من جيل

الأشكال من سلطة الراوي المطلق، وتتخلص أيضا من أحادية المنظور واللغة والأسلوب. ومن الظواهر الفنية التي تتبنى عليها الرواية البوليفونية، يمكن الإشارة إلى: تقليد الأساليب (Stylisation)، والمحاكاة الساخرة أو ما يسمى كذلك بالبارودي (Parodie)، والحوار (Dialogue)، والتهجيين (Hybridation)، والتتصاص (Intertextualité)، والتضيد، والعبارات المسكوكة، والأجناس المتخللة...

تعدد الرواة: يتعدد الرواة بناء على ما يتعامل معه الكاتب أو الشخصيات التي يتعامل معها كشخصيات ارتبطت يوما ما بحياته. لكل شخصية مواقفها، إذ تتبع من دوافع محددة كما تتجسد وظائف السيرة الذاتية في الرواية المعاصرة. ومن أهم النصوص الروائية الممكنة في هذا المجال، نذكر: رواية إلواز الجديدة (La Nouvelle Héloïse) لجان جاك روسو (J. J. Rousseau)، ورواية العلاقات الخطيرة (Les Liaisons Dangereuses) لكوديرلوس دو لاكلو (Choderlos de Laclos)، وروايات دويستفسكي (Dostoyevsky)، وخاصة روايته الشهيرة: الجريمة والعقاب (Crime and Punishment) ومن أهم الروايات العربية المغربية التي سارت على هذا النحو، نذكر على سبيل المثال: رواية (لعبة النسيان) للمبدع المغربي محمد بראה.^{٩٣}

^{٩٤} أنظر: د. بوشوشة بن جمعة، سردية التجريب وحدثة السردية في الرواية العربية الجزائرية، (حوارية النص القارئ في روايات أحلام مستغانمي)، المغربية للطباعة والنشر، ٢٠٠٥م.

^{٩٣} محمد بראה، لعبة النسيان، دار الأمان، الرباط، المغرب، طبعة، ٢٠٠٣م.

أو منفى أو الهجرة انتقلاً من مناطق نائية إلى مدن كبيرة وغيرها...

مواقف الكتاب: يقوم الكتاب بدراسة لبعض الأدباء وشخصياتهم، ويحلل النقاد أعمالهم ويستعرضون بعض المواقف من حياتهم، وغالباً ما يتحدث الكتاب في موضوعات متشعبة ومختلفة كالشعر والأدب والتاريخ واللغة والفن...

الموقف من الكتابة: الكتابة هي ذاكرة الفعل والإحساس، وغالباً ما يتم الاهتمام بشكلها الإبداعي بصرف النظر عن التصنيفات التي أفرزها النقد الحديث، فالمؤلف يكتب لكي يفرغ شحنة عاطفية يشعر بها القارئ والناقد، فالكتابة سرية، لذا فالجميع يقوم بعملية تخزين للمواقف على مستوى الذاكرة والمشاعر، وهذا التخزين ينضج مع الوقت ليتحول إلى أداة تعبير، وأداة التعبير هذه هدفها في الأساس "التفريغ"، فحين نتحدث لصديق عن هذا الموقف أو ذلك، أو حين تبكي تأثراً به أو بغيره، أو تقوم بفعل ما فإنك تنفس عن حالتك التي تشعر بها.

الموقف من الرواية: لا شك أن للكتاب المغاربة موقفاً إيجابياً من الرواية كونها أسهمت في الوعي الاجتماعي والثقافي بتعدد مواقفها وتشعب مواضيعها التي طرحت لكي تحكي الأمها وتحكي مثيلاتها سيما في الوطن العربي. إن حضور الحرية في تشكيل النص الروائي المغربي عنصر أساس في قوة حضور إبداعات الكتاب المغاربة وتوجهها، فهي بذلك تحطم كل الحدود وتتجاوزها، وهذا ما تؤكدته مارت روبر (Marthe Robert) في قولها إن للرواية مطلق الحرية "في اختيار مواضيعها وأطر

الستينات من كتاب الرواية الجديدة في مصر كإدوارد الخراط، ويوسف القعيد، وجمال الغيطاني، وصنع الله إبراهيم، وإبراهيم أصلان وغيرهم وكذلك من كتابات أعلام الرواية في فرنسا في الخمسينات من القرن الماضي مثل: الآن روب غريبه (Alain Robbe Grillet) ونتالي ساروت (Nathalie Sarraute) وميشيل بوتور (Michel Butor) وغيرهم من الروائيين الباحثين عن أفق جديد في الكتابة الروائية. والتنشيطية تحول وحدة النص إلى شتات من خلال تقطيعها إلى مقاطع تتداخل فيما بينها: كإضافة الحكايات والخطب والشعر أو المضامين أو الحكم والأمثال... وتسهم التنشيطية أو تفتيت النص ومكوناته في تشعب السرد إلى حد التيه في كثير من الأحيان. فالحكاية تتعقد وتتجزأ الشخصيات والأحداث والخطابات ولغة السرد.

تشكيل النص: نعني به إعطاء شكل وهيئة تشغل البصر وتثير معنا متحركاً في ذهن المتلقي، دون اهتمام لمطابقة المفهوم لما يسمى بالفنون التشكيلية (Art plastiques)، فالكتابة منطقة وسط بين التعبير الشفوي والتعبير بالصورة. فالخطوط تمثل الأصوات واسترجاعها يمثل الوظيفة أي ما تحول إلى صنعة بصرية جمالية.

معالجات الرواية: يتطرق الكاتب المغربي ذو التعبير الفرنسي إلى مواضيع تهتم بالهجرة واقعاً ومعاشاً في الغرب والضياع وفقدان الهوية والسياسة... وكذا لمن كتب ويكتب بالعربية، الجميع يعالج قضايا واقعية يعيشها الفرد المغربي في حياته اليومية كال فقر والفساد الإداري والهجرة مصدراً للرزق

الخاتمة

يعد الإبداع الروائي المغربي، الحديث والمعاصر، الذي تحدثنا عنه في هذا البحث إبداعا ثريا من خلال التجارب والخصوصية والمواكبة وتعدد إشكالياته. نشأ ذلك نتيجة المعاناة التي يشعر بها المبدعين في بلدان المغرب العربي، وإن اختلف الزمان والمكان. ويتضح للعيان من خلال النصوص المتعددة بأن نقاط الالتقاء بين المبدعين في المغرب العربي كثر سيما عبر إبداعهم الروائي المكتوب باللغتين: العربية والفرنسية. ذلك كون كلا اللغتين المكتوب بهما الإبداع، تعكس في جوهرهما، مسألة الهوية وإثبات الكيان الحضاري المنتمي لكتاب الرواية عبر ما يجسدونه من طرح إشكاليات متعددة استثمرت ماضيها وواكبت منجزات حاضرها وأصلته بكيانها مقارنة بالآخر.

تميزت الروايات المغربية والمكتوبة بلغتين، برصد علاقة تقابلية بين المجتمعين المغربي والغربي وأخرى قدمت صورة عن الواقع الاجتماعي والفكري في البلدان المغربية وما زالت تطمح إلى تقديم وعي شامل بقضاياها وخصوصا في علاقته بحضارة الاستعمار. لقد بقي الغرب في الإبداع المغربي موضوع تأمل وانتقاد. فمن ناحية انفتحت بلدان ومجتمعات المغرب العربي على الغرب كما يؤكد عباس الصوري: "عن طريق التعليم وأجهزة الإعلام (إذ) غير كثيرا عاداته اللغوية، وأدخل قيما جديدة تتعارض مع ما كان للعربية من قداسة وتقدير ثقافي وميل إلى تقليد السلف في بلاغتهم التقليدية، ودعا

أحداثها وطرق تصوير الواقع، رافضة كل القواعد، مخترقة كل الحدود."⁹⁵

الموقف من الثالث المحرم:

بحرت الروايات المغربية المكتوبة بلغتين إلى مواضيع متعددة وأسهمت في كثير من الأحيان في الثورة الثقافية والعلمية والوعي الاجتماعي في العالم العربي المغربي على وجه الخصوص والعربي عموما. مع ذلك، لم ينس أو يتناس المبدعون المغربية من الحديث عن شتى آلام المعاناة. لقد كان لحدة الطرح أحيانا، جرأة خارقة للقوانين وتشكيل الرؤيا وصياغة الموقف مقارنة مع كتاب المشرق العربي. ومن المواضيع الجدلية التي أثارت عبر مشوارهم الأدبي اهتمام المبدعين بإشكالات معاشة في الحياة اليومية سيما المعاصرة منها. فكل كتاب الرواية العربية أو الفرنسية، كتب عن ما يسمى بالثالث المحرم: الدين والسياسة والجنس وبنفس القدر. وغالبية من وظف هذه المواضيع من الكتاب المغربية، قد انطلق من ثنائية المسكوت عنه/ والمُصرح به؛ إذ قرر بعض هؤلاء الكتاب أن يصرحوا بالمسكوت عنه، وتصريحهم لم يتجاوز مستوى التلفظ الخطابي. مستبدين الاشتغال الفني على استثمار تلك المواضيع (التيما) في توليد الدلالات والتأويلات الخطابية وصهرها ضمن نسج حكاوي متنام بمستواه البنائي أو الدلالي أو التمثيلي في نص الرواية.

⁹⁵ Marthe Robert, *Roman des origines et origines du roman*, coll. "Tel", Paris, Gallimard, 1976, p. 15.

إلى خلق أنماط أخرى من التعبير ومفاهيم جديدة للبلاغة.^{٩٦}

كما أن النماذج الروائية التي أشرنا إليها عبر دراستنا دلائل على تواتر صور الالتقاء التي تبرز عبر الإبداع المغاربي المكتوب بلغتين. إذ جسد الإبداع المغاربي المنفتح والواعي بكل ما يجري حوله، علاقته بذاته كما جسد الآخر موضوعاً للنقاش، وهذه العلاقة "حددت التطورات السياسية والتحول الاجتماعي والاقتصادية والثقافية التي شهدتها بلدان المغرب العربي في تاريخها الحديث والمعاصر".^{٩٧} لهذا تعددت الخطابات والصيغ في الرواية الواحدة بتعدد الأحداث والحكايات والإشارات والرسائل التي تسهم في إضاءة الحدث وتقديمه.

عكست الروايات المغاربية أيضاً، مواقف انتقادية تجاه واقع مجتمعها المغاربي وحصرتها في وجود فوارق اجتماعية مختلفة وطبقات، وفي انعدام الحرية والتبعية للمستعمر والحرمان بكافة صوره المعيشية والجنسية وإشكالية الأرض وأزمة الفكر وواقع المرأة والتفكير الخرافي وعنف السلطة، والهيمنة الثقافية والأيدلوجية والصراع بين التنظيمات الحزبية والنقابية...

تنم كل هذه المواقف عن وعي الكاتب المغاربي وتعدد مواقفه الأيدلوجية المباشرة. والمبدعون المغاربة من الجنسين، دائمو الحذر ولم يحدث عبر رواياتهم، أن وقعوا في تصورات ثابتة ونهائية، بل

تجاوزوا ذلك كونهم أصحاب فكر يقض وناقض سيما في حديثهم عن القضايا المغاربية الصرفة. كما نجد في الأدب المغاربي المكتوب بلغتين، سلسلة من الصراعات، التي تخص الماضي والإرث الاستعماري والتقاليد، مقابل خطاب التحديث والحرية والليبرالية، والرمزية التي تتناول موضوعات القيم والمعيشة، والقدرة على ممارسة الحرية الفردية، والشغف بالهوية بوصفها وجوداً اجتماعياً له خياراته ورهاناته.

تعرفنا الرواية المغاربية عبر معطياتها على محنة الحروب المهددة التي عاشها الإنسان العربي عموماً والمغاربي خاصة، والتي تركت أزماتها على المجتمع المغاربي ممثلاً في الرجل والمرأة، وعلى الوعي وأثره النفسي الذي تركه الاستعمار والاحتلال والأزمة الفلسطينية وحرب الخليج والربيع العربي وغيره من الأحداث. كما حققت الرواية المغاربية مشاهد إبداعية متعددة. وأثبتت العديد من الدراسات أهمية ما تمثله هذه الرواية وترسخه في التفكير النقدي الممثل في أسماء كتابها وتجارب النقد البارزة، لقد رسخت الوعي المعرفي بالنقد الروائي من خلال مناهجه وتصورات ومفاهيمه.^{٩٨}

كما يوضح البعد الحوارى للرواية المغاربية قدرتها على بناء خصوصيتها وجديتها ومكانتها ويسهم في بناء صياغة تصورها الإبداعي وهاجسها التجريبي داخل نطاق جنسها الروائي. وتحمل الرواية

^{٩٨} عبدالحق ميفراني، مجلة آفاق المغربية، مجلة اتحاد كتاب المغرب، عدد مزدوج، العدد (٧٩ و ٨٠)، ملف مهم عن: "أسئلة الرواية المغربية: دراسات وشهادات". نشر في الاتحاد الاشتراكي بتاريخ ٢٦/٠٤/٢٠١١م.

^{٩٦} عباس الصوري، تعليم التواصل، أقلام (المغربية)، عدد ٤، أكتوبر ١٩٧٨م، ص: ٣٢-٣٣.

^{٩٧} د. بوشوشة بن جمعة، التجريب ارتحالات السرد الروائي المغاربي، المغربية للنشر، ٢٠٠٣م.

- د. بوشوشة بن جمعة، سردية التجريب وحدثاثة السردية في الرواية العربية الجزائرية، المغربية للطباعة والنشر، ٢٠٠٥م.
- د. بوشوشة بن جمعة، مختارات من الرواية المغربية المعاصرة، الجزء الأول والثاني، بيت الحكمة، قرطاج، ١٩٩٢م.
- د. بوشوشة بن جمعة، إتجاهات الرواية في المغرب العربي، المغربية للطباعة والنشر والاشهار، ١٩٩٩م.
- د. مصطفى عبدالغني، الاتجاه القومي في الرواية، عالم المعرفة، رقم ١٨٨، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٤م. علامات في النقد، المجلد الرابع عشر الجزء ٥٣، ٢٠٠٤م، الندي الأدبي الثقافي بجدة.
- شاكور نوري، منفى اللغة: حوارات مع الأدباء الفرانكفونيين، كتاب مجلة دبي الثقافية، عدد ٤٨ أبريل ٢٠١١م.
- مجلة آفاق، عدد مزدوج ٧٩ و ٨٠، سنة ٢٠١٠م، اصدار اتحاد كتاب المغرب.
- مجلة آفاق، عدد مزدوج ٨١ و ٨٢، سنة ٢٠١٢م.

المغربية في طياتها توازنًا راقياً بين الكتابة والحكاية وأصول الخيال، وتسير بتوازن بين مختلف وظائفها الجمالية والمعرفية والتداولية في مختلف أرجاء المغرب العربي والعالمي. وهكذا أثرت الرواية المغربية الجديدة خيالنا وتعايرنا وأبهرت النقاد حتى أصبحت ذات اهتمام متزايد بعد أن أجادت فن الحكاية لتصبح نصوصاً مفتوحة على العالم وعلى مواكبة تحولاته. كما تعمل الرواية المغربية على تشكيل مداخل أساسية في قراءة نصوصها الأدبية وتحليلها التي تربطنا بالنص وتأويله وبالعالم.^{٩٩}

المراجع العربية

- عبد الحميد عقار، الرواية المغربية: تحولات اللغة والخطاب، شركة النشر والتوزيع، المدارس، الدار البيضاء، الطبعة الأولى ٢٠٠٠م.
- د. حميد لحداني، أسلوبية الرواية، منشورات دراسات سال، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٩م.
- رشيدة بن مسعود، المرأة والكتابة: سؤال الخصوصية/ بلاغة الاختلاف، أفريقيا الشرق، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.
- حكيم عنكر، الرواية المغربية تتطرق بلسانين، ملحق الخليج الثقافي، الرباط، تاريخ النشر: ٢٠٠٩/١٠/٢٤م.

^{٩٩} مجلة آفاق المغربية، مجلة اتحاد كتاب المغرب، عدد مزدوج، العدد (٧٩ و ٨٠)، المرجع السابق ذاته..

المراجع الأجنبية

- J. Déjeux, *Le sentiment religieux dans la littérature maghrébine de langue française*, éd. L'Harmattan, 1986.

- Marc Gontard, *Le moi étrange: Littérature marocaine de langue française*, Paris, L'Harmattan, 1993.

- Denise Brahimi, *Appareillages*, éd. Deux temps Tierce, 1991.

- Assia Djebar, *Les Enfants du nouveau monde*, Juillard, 1962.

- Assia Djebar, *L'amour, la fantasia*, éd. Albin Michel, Livre de Poche, 2001.

- Jaus. R., *Pour une esthétique de la réception*, Paris, Gallimard, 1978.

- Rachid Boudjedra, *La vie à l'endroit*, Paris, éd. Grasset et Fasquelle, 1997.

- Jean Mazel, *Enigmes du Maroc*, éd. Robert Laffont, 1971.

- Jean Palou, *La Sorcellerie*, Puf, Que sais-je ? 1ère éd. 1957.

- Jules Michelet, *La Sorcière*, éd. Garnier, Flammarion, 1966.

- N. EL-Sa'adaoui, *La face cachée d'Eve*, Paris, éd. Des femmes, 1982.

- Fatima Mernissi, *Sexe, idéologie, Islam*, Paris, éd. Tierce, 1983.

- Roger Chemain, *L'imaginaire dans le roman africain*, L'Harmattan, Paris, 1985.

- Michel Erlich, *Les mutilations sexuelles*, Paris, Puf, Que sais-je ? 1991.

- Germaine Tillion, *Le harem et les cousins*, éd. Seuil, coll. Point, 1966.

- Jean Libis, *Le mythe de l'androgynisme, L'île verte*, éd. Berg / internationale, 1980.

- Ahlam Mostéghanemi, *Femmes et écritures*, Paris, L'Harmattan, 1985.

- Abdelwahab Bohdiba, *La sexualité en Islam*, Puf, 1975.

- T. Ben Jelloun, *L'Hospitalité française*, Paris, éd. Seuil, 1984.

- Tahar Ben Jelloun, (in) *A ma mère, 60 écrivains parlent de leur mère*, éd. P. Horay, Paris 1988.

- Jean Genet, (in) *Le monde*, 11 novembre 1979.

- Nathalie Sarraute, *L'ère du soupçon*, Idées, Gallimard, 1978.

- N. EL-Sa'adaoui, *La face cachée d'Eve*, Paris, éd. Des femmes, 1982.

- Tzvetan Todorov, Mikhail Bakhtine, *Le Principe, dialogique*, Seuil, 1981.

- Jean Ricardou, *le nouveau roman*, Edition Seuil 27, rue Jacob, Paris 1978.

- Article paru le 14 Janvier 1957, (in) *Démocratie*, n° 2 p. 10, cité par *Itinéraire et contacts de cultures*. V. 11, *Littérature maghrébine*, T. 2, L'Harmattan, 1990, pp. 58-59.

- Roger Chemain et Arlette Chemain Degrenge, *Imaginaires francophones*, Publication de la Faculté des Lettres Arts et Sciences Humaines de Nice, Université de Nice Sophia-Antipolis, Nouvelle série, No. 22, 1995.

- *Cahiers Jussieu*, n° 5, *Les marginaux et les exclus dans l'histoire*, Paris, Université Paris VII, U.G.E., 10/18, 1978.

- D. Chraïbi (in) *Cahiers de la Méditerranée*, Juin 1989, n° 38, Université de Nice.

- M. Mammeri, entretien (in) «*Confluent*» n° 23/24 Sept.-Oct. 1962, pp. 560-568.

- S. Garmadi, entretien (in) «*Alif*», n°1, 1971.

- Feraoun Mouloud, *Journal*, 1955-1962, Le Seuil; Paris,

- Kateb Yacine, *La langue de Malek*, (in) *Nouvel Observateur*, n° 1157, 1987, p. 87.

- A. Khatibi, (in) *Le Monde*, 17 Décembre 1971.

- A. Khatibi, Interview, (in) *Présence francophone*, n°8; Paris, printemps 1974.

- Abdelatif, Lâabi, *Souffles*, n° 18, 1970.

- *Cahier d'études maghrébines*, colloque, no. 2, mai 1990.

- *Ibla*, Revue Tunisian, 1992, t. 56, no. 169.

- Le Dictionnaire, *Le Petit Larousse illustré*, 1987.

The Crossing of Arabic and Francophone Writings in Maghreb Literature: Fiction as an Example

Dr. Abdullah Ahmed Alghamdi

Arabie Saoudite - Jeddah

Email: aghamdi6@kau.edu.sa

et

dr_ghamdi@hotmail.com

Abstract. the fiction text is considered an artistic form that protects us from forgetting our existence. The literary text accommodates various narrative types. This is an indication of the cultural identity from a reader's perspective. Fiction is a relatively new literary domain in Arabic. Nonetheless, it received a relatively highly praised position in global and modern Arabic literature, more specifically in Maghreb and North African domains. One reason for the emergence of the cultural openness is the cultural change after independence which in itself was a result of literary text concerned with a new breed of intellect, both readers and writers. The North African culture transferred from spoken to written.

It must be noted that the location of these North African nations allowed them to meet various cultures and civilizations. It also gave them a priority to build a deeply rooted culture in different languages, cultures, civilizations including Arabic, Islamic, Berber and African, all of which coexisted with the European West during and after the colonization. These North African nations benefit from a genuine heritage that is deeply rooted in history. When written evidence is sought, we find texts written in both languages which never forgot about their Islamic Arabic heritage. The North Africans were split between two different cultures and a civilization each represents genuine values.

The examples of crossings in North African novels written in two languages share a number of features including criticizing the North African social reality and identifying its connection with the Western society in different forms. Even if many French scholars refuse to admit the Francophone literature is a North African effort that expresses itself even if written in the language of the occupier, some believe that North African literature in French should be as Arabic literature written in French.